الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة وهران 2
محمد بن احمد
كلية العلوم الاجتماعية
قسم علم النفس

مذكرة لنيل شهادة ماستر في علم النّفس العيادي والشواذ

النسق الأسري وعلاقته بالجنوح عند الفتاة الجانحة

إعداد الطالبة:
سعيدان نادية

إشراف الأستاذ:
د. سليمان بشير

السنة الجامعية: 2015/2014

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

الإهداء..

يشرفني أن أهدي هذا العمل إلى أمي الحبيبة "خيرة" التي ضحت لأجلنا

وكانت مساندة لي ولها كل الفضل بعد الله في نجاحي ووصولي إلى هذا

المستوى أطال الله في عمرها وألبسها لباس الصحة والعافية

إلى روحي أبي رحمه الله وأسكنه فسيح جناته

إلى أخواتي وردة ونعيمة وزوجها أمين وابنها الكتكوت أنس إلى أخي أحمد

وزوجته ليلى وأبناءه محمد الأمين وصهيب إلى أختي الصوارية وابنتها سمية

إلى كل أحبابي وأصدقائي، وإلى كل طلبة ماستر 2 علم النفس العيادي

والشواذ

كلمة شكر

بعد شكر الله الذي وفقنا لانجاز هذا العمل المتواضع

أشكر كل من أعانني في إنجاز هذا البحث

إلى أستاذي المشرف السيد سليمان بشير أستاذ المحاضر بجامعة السانيا

وهران والذي كان خير معين بإصغائه وتفهمه ونصحه لي، كما أشكره لكل ما

قدمه لي

إلى أستاذ رئيس مشروع ماستر علو النفس العيادي والشعواذ السيد كحولة

مراد وأستاذة كحلولة أستاذة محاضرة في جامعة السانيا

وإلى كل أفراد عائلتي التي صبرت علي وساندتني لانجاز هذا العمل.

كما أشكر كل موظفين المركز إعادة التربية على مساعدتي بتسهيل أمور دخولي للمركز وكذا توفير الجو الملائم للمقابلات

ملخص البحث:

يتناول موضوع البحث دراسة النسق الأسري وعلاقته بالجنوح عند الفتاة الجانحة حيث عرفت هذه الظاهرة وهي الجنوح انتشارا في المجتمع وكان هذا الدراسة الإلمام بطبيعة النسق الذي تعيش في المراهقة الجانحة وكيفية الاتصال بين أفراد هذا النسق وما هي العوامل الكامنة وراء لجوء المراهقة للجنوح ولذلك اهتممنا بالنسق الأسري للفتاة كون الأسرة هي مصدر الأول والبيئة القاعدية التي تتبلور فيها شخصية الفرد وذلك من خلال الاتصال وبتأثير التفاعلات فيما بينهم، وأي اختلال في وظيفة الاتصال داخل النسق الأسري يؤدي إلى ظهور اضطرابات علائقية وسلوكية من أهمها الجنوح كونه ظاهرة نسقية ناتجة عن اتصال باتولوجي بين أفراد الأسرة وقد تمت الدراسة على مستوى مركز المتخصص بإعادة التربية للبنات بقمبيطا وتم اختيار 3 مراهقات للقيام معهم بمقابلات بعد أخذ تصريح من قاضي الأحداث، ولتحقيق هذه الأهداف من البحث جمعنا الجانب النظري والتطبيقي وهذا الأخير دعما للجانب النظري وتوضيحا لما سبق.

ولقد تم طرح الإشكالية الرئيسية المتمثلة في:

هل الاختلال الوظيفي لعملية الاتصال داخل النسق الأسري للفتاة يؤدي بها إلى الجنوح؟

أتبعناها بتساؤلات جزئية التالية:

هل النسق الأسري المفتوح يؤدي بالفتاة إلى الجنوح؟

هل النسق الأسري المغلق يؤدي بالفتاة إلى الجنوح؟

وللإجابة على هذه التساؤلات تم تبني الفرضية الرئيسية التالية:

قد يؤثر الاختلال الوظيفي لعملية الاتصال داخل النسق الأسري على الفتاة ويؤدي بها إلى الجنوح.

وألحقناها بفرضيات جزئية التالية:

- قد يؤثر النسق الأسري المفتوح على الفتاة ويؤدي بها إلى الجنوح
- قد يؤثر النسق الأسري المغلق على الفتاة ويؤدي بها إلى الجنوح

اعتمدت الدراسة على منهج قصة الحياة، فارتأت أنه الأنسب للتحليل حيث تدرس السيرة الذاتية لكل حالة ويتمكن من تتبع مسار حياتها وذلك من خلال العودة إلى مراحل العمر التي مرت بها.

قامت الدراسة بتسجيل 3 قصص حياة خاصة بالمراهقات الجانحات التابعات للمركز المتخصص في إعادة التربية بقمبيطا وهران، لكن اكتفت بتحليل اثنان من قصص الحياة، لتشابه القصص فيما بينها.

استعملت للدراسة أدوات الخاصة بالبحث المتمثلة في المقابلة العيادية والملاحظة بالإضافة إلى إعداد دليل المقابلة ومقياس النسق الأسري للفتاة الجانحة يتضمن أسئلة تخص طبيعة النسق الأسري للفتاة وكذا طريقة الاتصال مع أفراد عائلتها.

توصلت الدراسة إلى أن هناك اختلال في وظيفة الاتصال داخل النسق الأسري لكلتا الحالتين مما أدى إلى ظهور اضطرابات علائقية وسلوكية.

تأثير النسق الأسري على الفتاة ولجوءها إلى الجنوح وذلك لخاصية التفاعل الموجودة داخل النسق بحيث يأثر ويتأثر الأفراد المكونين لهذا النسق فيما بينهم.

يظهر أن جنوح الفتاة ما هو إلا عرض عن الاضطرابات الموجودة داخل الأسرة حيث تؤثر هذه الإضطرابات والصراعات الأسرية على المراهقة مما يجعلها تبحث عن تعويض ينسيها هذا النقص فتجد نفسها ضحية وفريسة للانحراف والجنوح.

قائمة المحتويات

الموضوع **رقم الصفحة**

الإهداء..... أ

كلمة شكر ..... ب

ملخص البحث ..... ج

مقدمة ..... ح

الجانب النظري

الفصل الأول: الإشكالية

1. تمهيد .....
2. دراسات سابقة .....
3. الإشكالية .....
4. الفرضيات ....
5. أهداف البحث.. .....
6. أسباب اختيار الموضوع.....4
7. التعريف الإجرائي لمصطلحات البحث 4

الفصل الثاني: النسق الأسري وعملية التواصل من منظور النظرية النسقية

تمهيد 6
منشأ المقاربة النسقية 26
مدارس المقاربة النسقية .....
تعريف النسق .....
خصائص النسق الكلية .....
أنواع الأنساق .....
دور المعالج النفسي النسقي .....
تقنيات العلاج المستعملة .....
مراحل الحصص العلاجية النفسية النسقية.....
منشأ الاتصال حسب التوجه النسقي .....
الاختلال الوظيفي للاتصال حسب التوجه النسقي.....
تعريف الأسرة .....
أنواع الأسرة .....
مميزات الأسرة .....
وظائف الأسرة .....
تصنيف الأسر الجانحين "Le Blanc".....

الفصل الثالث: الجنـــــــوح

تمهيد.....28
مفهوم جنوح الأحداث 43
أنواع الجنوح .....
نظريات الجنوح .....
سمات الشخصية الجانحة .....
العوامل المؤدية للجنوح .....

علاج والوقاية من الجنوح

الفصل الرابع: منهجيّة البحث

تمهيد 45

منهج الدراسة .....

إجراءات الدراسة .....

مكان ومدة الدراسة .....

الجانب التطبيقي

الفصل الخامس: عرض قصة الحياة

عرض قصة الحياة .....

خلاصة .....

اقتراحات وتوصيات .....

المراجع .....

الملاحق

المقدمة

مقدمة

إن الأسرة هي وحدة المجتمع الأولى وهي الواسطة أو حلقة الوصل بين الفرد والمجتمع وهي الوسط الإنساني الأول الذي ينشأ فيه الطفل ويكتسب في نطاقها أول أساليبه السلوكية التي تمكنه من إشباع حاجاته وتحقيق إمكانياته والتوافق مع المجتمع.

تعتبر الأسرة هي اللبنة والمدرسة الأولى التي تضع القواعد الأساسية والتي يكون تأثيرها العميق والدائم في الطفل لأنه قليل الخبرات ومستعد لقبول خبرات جديدة، والأسرة هي المصدر الأول للمعرفة إذ يعتمد الطفل اعتمادا كبيرا على الأسرة في تزويده بمختلف المعارف الاجتماعية والبيئية والمعرفية، كما يلعب الآباء دورا مهما في نمو قدرات الطفل الفكرية والنفسية والمهارات والخبرات والمعارف ومازالت الأسرة تلعب دورا مهما في غرس القيم والأخلاق في نفوس الأبناء وعادة ما يكتسب الطفل الأسس الأخلاقية والمبادئ من الأسرة التي ينتمي إليها، ويكون ذلك أثناء مراحل التي يمر بها من الطفولة إلى المراهقة التي تعتبر مرحلة مهمة وحرجة.

//

إن النسق الأسري هو إطار عمل لفهم الأسرة كنظام اجتماعي متداخل لحاجات وخصائص ويكون أفراد المكونين لهذا النسق في تفاعل واتصال وأي اختلال في وظيفة الاتصال الذي يعد خاصية تفاعلية ضمن محيطهم يؤثر على سلوكاتهم سواء بالسلب أو الإيجاب.

إن الجنوح الأحداث هو من الظواهر الموجودة في مجتمعنا وإن هناك العديد من العوامل التي قد تكون وراء هذه الظاهرة لدى يجب تسليط الضوء على هذه الظاهرة والدوافع الحقيقية التي تقف وراء سلوك الجانح، فالجنوح لا تقتصر آثاره على الفرد الجانح فقط فهي تمتد إلى المجتمع بشكل عام والأسرة بشكل خاص، ويعتبر الجنوح بأنه اتصال غير لفظي وما هو إلا نتيجة للاضطرابات الاتصال بين أفراد الأسرة ولأجل الإلمام بهذه الجوانب اتبعت الدراسة الخطوات التالية حيث قسمنا موضوع البحث إلى خمس فصول فكان:

الفصل الأول،

تطرقنا فيه إلى دراسات السابقة فيما يخص النسق الأسري والوظيفة الاتصال والمراهقة والجنوح كما حددنا الإشكالية والفرضيات والهدف من البحث وأسباب اختيار الموضوع وأخيرا التعريفات الإجرائية للمصطلحات.

الفصل الثاني،

يضم النسق الأسري أهم مدارس النظرية النسقية مفهوم النسق وأنواعه وخصائصه، مفهوم الأسرة وأنواعها ووظائفها ومفهوم الاتصال واختلالاته من منظور نسقي.

الفصل الثالث،

يهتم بالجنوح الأحداث، مفهومه، أنواعه، والعوامل المؤدية للجنوح سمات الشخصية الجانحة وسبل الوقاية وعلاج الجنوح.

الفصل الرابع،

يضم الجانب المنهجي والمنهج المتبع للدراسة والمتمثل في قصة الحياة والتي تكتب في صيغة سيرة الذاتية في إجراءات البحث وعينة البحث.

الفصل الخامس،

يمثل الجانب التطبيقي للدراسة وفيه تعرض الحالتين التي ارتكزت عليها الدراسة من خلال عرض قصة الحياة تم التعليق على القصة وكتابة خلاصة عن كل حالة.

وتختم الدراسة بخلاصة شاملة للبحث بالإضافة إلى التطرق إلى مدى تحقق الفرضيات أو من عدم تحققها وتقديم اقتراحات وتوصيات.

الجانب النظري

الفصل الأول

الدراسات السابقة وتقديم البحث

تمهيد:

إن أي دراسة علمية يقوم فيها الباحث بعلاج موضوع المراد دراسته لمنهجية صحيحة حيث تكون هذه الدراسة مرتبطة بالواقع وبالفرضيات التي نحاول أن نتحقق منها، وبما أننا أردنا الكشف عن علاقة بين النسق الأسري والجنوح عند الفتاة تبعا للمتغيرات المستقلة والتابعة المحددة في التساؤلات وفرضيات البحث بالإضافة إلى التطرق لأسباب اختيار البحث مع ذكر الأهداف.

دراسات سابقة :

ان الاسرة هي الوحدة البنائية الاساسية التي تقوم بالدور الرئيسي في بناء صرح المجتمع و تدعيم وحدته و تماسكه و تنظيم سلوك افراده بما يتلائم مع قيم المجتمع ، كما تعتبر الاسرة العامل الاساسي او الاول الذي يؤثر في النمو النفسي السوي والغير السوي للفرد في جميع مراحل حياته كما انها تؤثر في نموه العقلي و الانفعالي و الاجتماعي فللأسرة اثر كبير على افرادها خاصة المراهق و ذلك لاهمية هذه المرحلة وخطورتها و لم يتفق العلماء و الباحثين على تحديد نقطة محددة لبدايتها او نهايتها ، يجتاز الناس بشكل عام الحد الفاصل بين الطفولة والرشد و يعيشون في هذه المرحلة الكثير من التغيرات الهائلة التي دفعت الكثير من العلماء من أمثال "ستانلي هول" "Stanely Hall" و "سيغموند فرويد ""Sigmend Freud" الى الاعتقاد بأن هذه المرحلة عاصفة ومضطربة بكل ما تحمله من التغيرات الجسمية و العقلية و النفسية و الاجتماعية . (صالح محمد علي ابو جادو،2007 ، صفحة 409).

لقد اختلف الباحثون في النفسيون في تقسيم مرحلة المراهقة حسب الاتجاه النظري الذي يتبنونه ومن بين هذه التقسيمات هي كالتالي :

المراهقة المبكرة : تمتد عند البنات من 12-14 سنة ، اما البنين من 15-16 و هناك يبدأ النضج الجنسي المستقل .

المراهقة الوسطى : تمتد عند البنات من14 -16 سنة ، اما البنين من 17-18وفيها يسعى المراهق لتكوين علاقات مع الجنس الاخر .

المراهقة المتأخرة : و تمتد عند البنات من 17-18سنة ، اما البنين من 19-20 .

وتطرأ على المراهق تغيرات من ضمنها التغيرات التي تطرأ على وظائف الغدد الجنسية و هي فترة خصبة في حياة الانسان اذ تنمو فيها القدرات البدنية و العقلية كما تتميز فترة المراهقة بانها قد تكون عنيفة لا تتناسب مع مثيرات و لا يستطيع المراهق التحكم بها كما ان المراهق في هذه المرحلة يسعى الى الاستقلالية و تكوين شخصية حيث يرى "فرويد" "freud" ان المراهقة هي مرحلة تتميز بشدة الاعراض العصبية التي ترجع الى طبيعة النمو الجنسي من الطفولة الى المراهقة فالرغبات الجنسية التي كانت قد هدأت اثناء فترة الطفولة تظهر مرة اخرى بقوة و تبرز الدوافع العدوانية السابقة كما ان بعض الدوافع الجنسية الجديدة تكبت و تظهر في صورة ميول للعدوانية هدامة ويزيد من تعقيد الازمة . و نجد ان فرويد يعتبر مرحلة المراهقة المرحلة الاخيرة في عملية النمو النفسي الجنسي . (صالح محمد علي ابو جادو،2007 ، صفحة445) .

كما نجد تفسير اخر للاتجاه البيولوجي النفسي حيث يرى "Stanley hall" ان المراهقة هي مرحلة جد مهمة و قادرة على تغيير مسار الحياة المستقبلية للفرد و نجد هذا الاتجاه يركز على المحددات الداخلية للسلوك و يشير الى مخطط التطور للنوع البشري الذي ينعكس في التركيبة الوراثية لكل فرد كما يشير الى ان المراهقة تمثل مرحلة التغير الشديد مصحوبة بالضرورة بالتوترات و صعوبات في التكيف و ان التغيرات الفيزيولوجية تمثل عاملا اساسيا في خلق هذه التوترات و ان الحياة الانفعالية للمراهق تكمن في حالات متناقضة فمن الحيوية و النشاط الى الخمول و الكسل و من المرح الى الحزن . (صالح محمد علي ابو جادو،2007 ، صفحة 444).

تختلف اشكال المراهقة من فرد لاخر على حسب ظروف و نوع النسق الاسري الذي يعيش فيه و العادات و الادوار التي يقوم بها المراهقون في مجتمعهم فالمراهق يمر بفترة

يسعى فيها الى فرض ذاته و الاستقلالية عن الكبار مما يجعل لافراده عائلته اهمية قصوى في تعزيز ثقته بذاته و اشباع حاجياته، لدى نجد ان الاسرة المستقرة المتفاعلة التي تشبع حاجيات ابنها المراهق و متطلباته وما تتميز به من تجاوب و اتساق عاطفي تساعده في تكوين ذات خالية من الصراعات و الاضطرابات النفسية مما ينتج عنها اضطرابات في السلوك تؤدي بالمراهق الى الجنوح.

-ان الاتصال بين افراد الاسرة يعد خاصية تفاعلية ضمن محيطهم الاسري حيث يؤثر على سلوكاتهم سواء بالسلب او الايجاب، ولقد قدم "Gr. Bateson et All -1951" نظرية الاتصال و بينوا ان الاضطراب الحاصل بين الفرد و دائرته الاجتماعية يؤذي لظهور ظواهر نفسية متعددة.

فالنموذج العلائقي و النسقي يرتكز على فكرة أساسية وهي ان العلاقات بين الافراد تشكل ظاهرة سيكولوجية التي ينبغي دراستها انطلاقا من اعمال " Cr. H.Mead" حيث اعتبر ا ن الانا لا يمكنه ان يتواجد الا بواسطة و داخل التفاعلات الاجتماعية و حتى سيرورة التفكير تعتبر ذات طبيعة تفاعلية بما انها تأخذ مصدرها من خلال تبني تدريجيا رأي الاخر حول الذات .

-و بالنسبة ل "R.Laing" ان الفرد يحقق تواجده عن طريق العلاقات التي يقيمها مع اشخاص اخرين حيث يقول في هذا الشأن :

"L’essence de l’être , de tous les êtres , en la relation qui excite entre eux "

ان هذا المفهوم حول primat de la relation كل نموذج فيها يتعلق بتحليل الاتصال هو ناتج عن مدرسة "Palo Alto" التي ترى ان الادراك هو ادراك العلاقة ،و اهتمت بالتوظيف الباثولوجي للاتصال العائلي و اعتبرت ان النسق الاسري كنسق متوازن داخليا اين يكون اضطراب احد افراده عاملا للحفاظ على توازن العائلة و يجب على

المعالج ان يعمل على ايجاده اتزان اخر، و اعادة تنظيم النسق في غياب للاضطربات النسقية.

اما "فرجينيا ساتير" فترى ان الاتصال هو طريقة للتعبير عن عن مشاعر النقص و الدونية او مشاعر تقدير الذات و الفرح و الحزن وترى ان الحياة مستحيلة دون اتصال و هو السبب الرئيسي لبقاء الفرد واستمراره .(سعيد حسني العزة ،2000 ،ص73).

كما يذهب سعيد حسني العزة الى ان الاتصال هو عملية تبادل معلومات او الخبرات بين طرفين او اكثر في نطاق المحيط الاجتماعي و هو عملية ضرورية لاستمرار الحياة و نقل التراث و الحضارة من جيلي الى جيل .(سعيد حسني العزة ،2000 ،ص 70)

-ان الجنوح هو احدى ظواهر النسقية الناتجة عن هذا الاضطراب فكل سلوك و ليس فقط الكلام هو عبارة عن اتصال فالجنوح هو اتصال غير لفظي و ما هو الا نتيجة استحالة التعبير و ترجمة للاضطرابات التي تشوب الاسرة ، و قدر ركزت دراسات حول الاسرة و الجنوح من بينها دراسة "جلوك وجلوك" "Glueck&Glueck" سنة 1950 حول كشف الجنوح حيث اجريت الدراسة على عينتين احدهما تجريبية مؤلفة من (500) حدث جانح و اخرى ضابطة و توصلا الباحثان الا ان 65% من الجانحين كانوا لديهم اخوة جانحون و 66% منهم كانت امهاتهم مجرمات ، كما كشفت الدراسة ان اسلوب القسوة في التربية من بين عوامل التي كانت مساعدة على الجنوح و كذا الظروف المعيشية المزرية . (محمد سند العكايلة ،2006 ،ص 288-289)

كما قدم "شاهين" دراسة حول انحراف الفتيات و مشاكل العائلية و توصل الا ان المشاكل بين الوالدين او بين الوالدين و الابناء كانت السبب الاكبر للسلوك المنحرف للفتيات المراهقات كالعلاقات الغير شرعية و ادمان المخدرات . (محمد سند العكايلة ،2006 ،ص 292)

- اما "Bowlby" فقد اشار في دراسته الى اهمية دور الام و ان سلوك الجانح له علاقة كبيرة بابتعاد و حرمان الطفل الجانح عن امه لمدة طويلة في السنوات الخمس الاولى من حياته تلك التي تتشكل فيها شخصيته .

و يرى "Horney" ان المبدأ الذي يقدر السلوك البشري ليس غريزي جنسي فرويدي لكنه الحاجة للامن فاذا وصل عدم الامن بالابن او الفتاة في علاقتها بالوالدين الى حد يصعب السيطرة عليه ينمو لديه شعور شامل بان العالم مكان خطر و عدواني و هناك علاقة وثيقة بين عدم الشعور بالامن وبعض مظاهر السلوك الشاذ كالعدوان و الانحراف فقد يوجه هذا العدوان الى الذات نفسها او العالم الخارجي .(موفق هاشم صفر الحلبي،2000،ص420)

الإشكالية :

- ان الاسرة كوحدة اجتماعية موجودة في كل المجتمعات الانسانية بشكل عام و ان وجود الفرد و استمراره في الحياة الطبيعية و رعاية الاطفال و تنشئتهم تنشئة سليمة بعيدة عن الانحراف و الاجرام هي امور تتعلق بالاسرة و عملية الضبط الاجتماعي حيث

ان الفرد لايمكن فصله عن الاخرين و عن بيئته فهو دائما في تفاعل اذ يؤثر و يتأثر بالغير و في اتصال مستمر بالمقربين منه و الافراد المحيطين به ، ولهذا يمكن اعتبار الفرد كعنصر من نسق كلي الذي ينتمي اليه اذ بقواعد هذا النسق يتحدد سلوكه هذا انطلاقا مما جاءت به النظرية النسقية التي تدعو الى دراسة الفرد ضمن نسقه الاسري فإذا حدث تغير في احدى عناصر هذا النسق يؤدي الى تغير النسق ككل فالجنوح ليس استجابة لمثير ما بل هو ناتج عن وجود خلل تفاعلي بين مجموع عناصر هذا النسق و هذا ما دفعنا للبحث عن طبيعة النسق الاسري الذي تعيشه المراهقة الجانحة و كيفية ادراكها لهذا النسق .

و على ضوء ما سبق نطرح اشكالية البحث الرئيسية كالتالي :

– هل الاختلال الوظيفي لعملية الاتصال داخل النسق الاسري للفتاة يؤدي بها الى الجنوح ؟

التساؤلات الجزئية :

– هل النسق الاسري المفتوح يؤدي بالفتاة الى الجنوح ؟
– هل النسق الاسري المغلق يؤدي بالفتاة الى الجنوح ؟

الفرضيات :

الفرضية الرئيسية :

– قد يؤثر الاختلال الوظيفي لعملية الاتصال داخل النسق الاسري للفتاة و يؤدي بها الى الجنوح .

الفرضيات جزئية :

– قد يؤثر النسق الاسري المفتوح يؤدي بالفتاة الى الجنوح .
– قد يؤثر النسق الاسري المغلق يؤدي بالفتاة الى الجنوح .

أهداف البحث:

يمكن تلخيص أهداف اختيار الموضوع في النقاط التالية:

1. إشباع فضول العلمي في فهم ظاهرة الجنوح لدى المراهقة ومدى تأثير النسق الأسري الذي تعيش فيه عليها، ومدى تأثير العلاقة داخل الأسرة بحيث يتأثر الفرد فيها ويتأثر وبالتالي يؤثر على المراهقة ليؤدي بها إلى الجنوح والقيام بسلوكات معتادة للمجتمع في إطار متغير يتلخص في شكل النسق الأسري سواء كان مفتوح أو مغلق.
2. محاولة التحقق من صحة الفرضيات التي قمنا بصياغتها والوصول إلى المراحل الأولية.
3. فهم طبيعة شخصية الفتاة الجانحة وما هي المراحل الحقيقية الكامنة وراء جنوحها.

أسباب اختيار البحث:

تتحدد أسباب التي حفزتنا على اختيار موضوع دراستنا في ما يلي:

1. يعتبر موضوع الجنوح لدى الفتاة من بين المواضيع التي تدخل ضمن اهتمامنا.
2. رغم توفر مجموعة معتبرة من المراجع التي تناولت موضوع الجنوح سواء باللغة العربية أو الأجنبية إلا أن هناك ندرة في الدراسات خاصة المحلية التي تهتم بالجنوح لدى الفتاة المراهقة طبيعة النسق الأسري الذي تعيش فيه.
3. يعود هذا الاختيار أيضا إلى تفشي وانتشار هذه الظاهرة في مجتمعنا.
4. قلة البحوث فيما يخص المراهقة الجانحة.

تعريف الإجرائي للمصطلحات:

النسق:

هو مجموعة من العناصر في تفاعل دينامي بينها، منظمة قصد بلوغ هدف والنسق هو مفهوم عام ويكون موضوع التعاريف متعددة ولكن التعريف الأكثر استعمالا هو مجموعة العناصر التي هي في تفاعل و أي تغيير في عنصر من العناصر يؤدي إلى تغيير الكل ويتميز النسق بخاصية الديناميكية.

الأسرة:

هي من أهم المؤسسات الاجتماعية التي يتكون منها البناء الاجتماعي للمجتمع ليس لمصطلح الأسرة تعريف محدد ولعل من بين أهم هذه التعريفات أن الأسرة هي عبارة عن جماعة من الأفراد يرتبطون معا برابط الزواج والقرابة، كما أنها وحدة متميزة بخصائص كعلاقة الزوجية – الإنجاب وكذلك مشاركة في مسكن واحد وكذا اشتراك في خدمات الاقتصادية.

المراهقة:

هي مرحلة من مراحل النمو التي يمر بها الفرد خاصة ما بين 14 – 17 سنة من خلالها يبحث الفرد عن التكيف داخل النسق الأسري الذي يعيش فيه بالتصدي لمراعاة عن طريق الاتصال الفعال مع أفراد هذا النسق.

الجنوح:

هو مصطلح استعمله الرومان والجنوح هو الميل والانحراف واستخدمه علماء الإجرام لدلالة على الجريمة، وهو نمط من الأنماط السلوك يجرمها القانون وتستوجب عقوبات خاصة وتعبر خروجا على قيم المجتمع وتقاليده فهي مهددة له.

الحدث الجانح:

ويعني الحدث من الناحية النفسية الاجتماعية الطفل الذي لم يكتمل بعد نضجه ولم تتوافر لديه عناصر البلوغ والإدراك والحرية، وقد ارتكب سلوكات جانحة مخالفة للقانون أو في خطر معنوي وتم وضعه في مراكز إعادة التربية.

الاتصال:

هو عملية تبادل معلومات أو خبرات بين الطرفين أو أكثر في نطاق ** الاجتماعي وهو عملية ضرورية للاستمرار الحياة كما أن الأفراد الذين هم في اتصال هم في تفاعل بحيث يؤثرون ويتأثرون.

الفصل الثاني

النسق الأسري وعملية التواصل
من منظور النظرية النسقية

تمهيد:

يحاول الباحثون في ميدان الأسرة، مثلهم في ذلك مثل أغلب المنظرين في مختلف مجالات العلم لتنظيم معارفهم المتراكمة في مفاهيم وتعميمات ونظريات، وقد رأى المتخصصون في الدراسات الأسرية الحاجة إلى تنظيم مفاهيم وتطوير فروضهم، وربط هذه الفروض بشكل له معنى وصولا إلى تفسير التنظيم والسلوك الأسري، وترجع أهمية النظريات عموما إلى أنها تساعد الدارسين على اكتشاف النقاط الجوهرية التي يركزون عليها اهتمامهم.

ظهرت نظريات جديدة للأسرة هذه الأخيرة كالنسق، والذي تبنته مدرسة بالو ألتو Palo Alto بأمريكا إلا أن هناك وجهات رأي مختلفة من قبل رواد النظرية النسقية لمصطلح "النسق الأسري".

على هذا الأساس سنحاول التطرق إلى أهم مؤسسي النظرية النسقية ومختلف تفسيراتهم للنسق الأسري.

منشأ المقاربة النسقية :

ان تطبيق المقاربة النسقية في العلوم الانسانية يقتضي اعتبار هذه الانساق الاجتماعية مفتوحة على العالم الخارجي , فعن طريق ظاهرة الاتصال بين الافراد بتبادل التاثر و التاثير يتم ميلاد الاضطرابات النفسية داخل هذا النسق الاجتماعي .

ان المقاربة النسقية هي تلك التي تتناول الانساق الاجتماعية و تبحث عن اصل الاضطرابات السيكوباتولوجية في الاطار الاجتماعي السريع ، وهي تعمل على شرح سلوك الفرد في اطار الجماعة التي ينتمي اليها مثل الزوجان ، العائلة او جماعة اكثر اتساعا ، و يشكل الفرد جزء من النسق و الجماعة لديها عناصر متصلة فيما بينها ، و الشيء الذي يحدث في اي جزء من النسق يمارس تاثيرا على باقي الاجزاء .

و ان العديد من المختصين العياديين النسقيين تبنوا النموذج النسقي العائلي الذي يقترح ان الاعراض التي تظهر لدى الفرد ماهي الا اعراض للاختلال وظيفي داخل العائلة .

الفرد الذي ينظر اليه بانه الوحيد الذي يكون Le paient Désigné و بمعنى اخر المفحوص المحدد

بحاجة الى المساعدة الحامل للعرض الذي يعرض صعوبات العائلة فيكون بذلك المشكل يتموضع ضمن العائلة بالدرجة الاولى و ليس لدى الفرد .

كما ان هذه المقاربة لا تود البحث عن التساؤل لماذا هذا الفرد يتصرف بهذه الطريقة الغريبة و اللامعقولة , وانما هي في اطار انساني يمكن ان يكون هذا السلوك الوحيد الذي يمكن انتهاجه ، فحسب هذا المفهوم فان المفحوص المحدد ليس الفرد في حد ذاته و لكن نسق ذو علاقات مضطربة .

« C’est l’interaction qui importante pas le passé du patient »
« mieux vaut réduire la souffrance que cherché la vérité » ,

و لقد اعترف باحثين في مجالات مختلفة باهمية المقاربة النسقية و بنظريتها التفاعلية في فهم بعض الاضطرابات النفسية ، كما وضح ذلك (1984) ، "A.Eiguer" عندما ذكر

« Il se peut qu’à la lumière de cette nouvelle méthode de travail l’etude psychopathologique soit déplacée de l’individu au groupe ainsi que des mécanismes intrapsychiques aux mécanismes de fonctionnement inter-psychique »

كما نجد "D.Anzieu" يعترف كذلك بأهمية مدرسة Palo Alto في التلميح بالجانب الشعوري النفسي حيث يقول :

« Le très grand mérite d'avoir attiré notre attention à nous psychanalystes sur l'importance des processus psychiques secondaires »

حيث ان التحليل النفسي أساس على السيرورات الأولية .

و يضيف "D.Anzieu " أن أهمية نظريات التحكم و تطبيقات العلاج العائلي سمحت بإعطاء اعتبار مغاير للمشكل بالتساؤل عن مكان العرض في ديناميكة العائلة .

بالنسبة للكثيرين فإن المقاربة النسقية طريقة مغايرة لرؤية الأشياء ، نموذج اخر للتفكير Paradigmeو كثورة علمية (1972) "V.satir"

لقد وضح الكثير من الباحثين في هذا المجال أمثال " P.Watzlawick" و " J.Haley" أن "G.Bateson" غير بعمق النظرة الكلاسيكية للمرض العقلي ، و أن الطبيب العقلي استنادا إلى ما تلقاه من تكوين فإنه يعمل على شرح هذه الحالة الفردية " المفحوص المحدد" ، غير أن "G.Bateson" يتساءل خلافا لذلك ، في أي إطار إنساني يكون لهذا السلوك معنى خاص .(طباس نسيمة ،2006،ص69-70)

1. مدارس المقاربة النسقية

إن المقاربة النسقية هي جزء من تيار فكري واسع حيث نجد تعابير في الجشطالت، البنيوية، نظرية الاتصال، نظرية التحكم، النظرية العامة للأنساق، غير أن كل هذه التيارات تلتقي في نقطة البحث عن العلاقات: دائري في مجموعات منظمة، أين يكون النسق عبارة عن كل غير قابل لانقسام الأجزاء، ومن أهم هذه المدارس هي:

مدرسة Palo Alto:

إن أول جماعة لهذه المدرسة تكونت من : G. Bateson, D. Jackson J. Haley,Weakland (1952 – 1962) حيث كان لها الدور في نشأة المقاربة النسقية وبالتالي فإن مدرسة **Palo Alto**، اهتمت بالتوظيف الباثولوجي للاتصال العائلي واعتبرت أن النسق العائلي كنسق متوازن داخليا، أين يكون اضطراب أحد أفراده، عاملا للحفاظ على توازن العائلة ويجب على المعالج أن يعمل على إيجاد اتزان آخر، وإعادة تنظيم النسق في غياب تام للاضطرابات النفسية، ولقد عرفت هذه الأفكار انتشارا واسعا في فرنسا، خصوصا أعمال S.Palazzoli et Call (1978) فيكون بذلك القيام بمقابلات عيادية مع أفراد العائلة، والهدف منها إعادة تأطير الاضطرابات، وتناول الموضوع ضمن التفاعل العائلي الاجتماعي.

وإن الوقت الحاسم لمدرسة **Palo Alto**، كان ابتداء من سنة 1953، عندما بدأ G. Bateson (150) بدراسة Programmatique de la communication والتي كانت تحضى سابقا بالدراسة القليلة ولدراسة ظاهرة الاتصال، كان يستدعي المفحوصين، فكانت كبداية للعلاج العائلي.

فانطلاقا من الثلاثينيات، اعتبرت المختص في G. Bateson (150) أن الطريقة الأنتربولوجيا التي ينصرف بها الفرد هي محددة بردود أفعال المحيط، فبالنسبة له على علم النفس أن يأخذ بعين الاعتبار القنوات العلائقية للشخص وعدم التمركز فقط على مستوى المحددات النفسية الداخلية، فالفرد يتلقى باستمرار معلومات من محيطه ويقوم بمعالجتها، أي ما يسمى بظاهرة الاتصال أو الطريقة التي يفك بها رموز هذه الآخرين وتعالج، عن طريق المعلومات، وأن هذه الأخيرة تنظم من طرف الأفراد اتصالهم فتكون موضوع البحث وعليه كان اقتراح G. Bateson (150) الفرصة التي مؤداها أنه يجب دراسة تأثير وعليه كان اقتراح التبادلات التي يخضع لها الأفراد وللتناقضات المختلفة التي بإمكانها أن تحملها.

جماعات مدرسة Pallo Alto:

إن التطور العلاج العائلي عرف عدة مراحل مرتبطة بجماعات وهي:

* **الجماعة الأولى:** ابتداء من سنة 1949 – 1952 إلى غاية سنة 1962 م بقيادة G. Bateson وكان هدفها البحث حول كل ما يتعلق بعملية الاتصال وأسس قواعد نظرية جديدة.

* **الجماعة الثانية: (1959 – 1968)** وفيها كانت نشأت معهد البحث الصحة، العقلية MRI الذي ترأسه D. Jackson وتنتمي إلى هذا المركز (1971) V. Satir الرائد الأول لمدرسة **Pallo Alto** ونظرية الاتصال، والتي عرفت تطورا فيما بعد.(طباس نسيمة ،2006،ص 71-72)

النظرية البنائية:

ينسب هذا الاتجاه إلى "سلفدور مينوشن" « S.Minouchin » حيث يرى أن أفراد الأسرة يتفاعل كل منهم مع الآخر في أنماط يمكن التنبؤ بها، والتي يمكن أن تلاحظ وتتكرر مع الزمن ، كما يشير إلى أن أعراض الفرد تمثل وتعبر عن فشل الأسرة في تعديل بناءها حسب التغيرات البنائية، حيث لم يعد البناء الأسري يستطيع أن يوفر متطلبات التطور والنمو لأعضاء الأسرة، كما ترى المدرسة البنائية أن الأعراض تستمد بناءها من طبيعة واتجاه الحركة داخل البناء الأسري، وفي الأدوار التي تمارسها الأسرة ككل والتي تعطيها نمطا خاصا بها (داليا مؤمن، 2004 ص 135).

إن وجهة نظر مينيوشن في الأسر كسياق علائقي له أنماط بنائية يمكن التنبؤ بها، فوضع ثلاثة أبنية تخص أداء الوظائف في الأسرة وهي:

1. النسق الأسري:

إن الأسرة النووية التي بها الزوجين تضم أربعة أنساق فرعية أساسية وكل منها له وظائف وأنماط تفاعلاته وكل نسق يحدد حسب الجيل والسن والجنس وكل فرد داخل النسق الفرعي موضع مهام مسندة إليه.(karine,2004,p59)

ويوجد اربعة الأنساق الفرعية هي كالتالي:

– النسق الفرعي الزوجي، والذي يتكون من الزوج والزوجة.

– النسق الفرعي الوالدي، والذي يتكون من الوالدين كسلطة تنفيذية أو صانعي القرارات في الأسرة.

– النسق الفرعي الأخوي، والذي يتكون من الأخوة الأشقاء والغير الأشقاء ويتضمن وضعية كل واحد في النسق بالإضافة إلى التفاعلات بين الإخوة وما مدى تأثيرها على النسق الأسري.

– النسق الفرعي وراء الأسري أو خارج الأسرة، والذي يتكون من الأسرة الممتدة والأصدقاء وشبكة الدعم الاجتماعية (علاء الدين كفافي، 2006، ص 341).

2. الحدود:

حسب منيوشن حدود النسق الفرعي تعتبر كقواعد تحكم أداء من ينتمون إلى النسق الفرعي، وكيف ينفذ كل شخص أعماله ومسؤولياته.

توصف الحدود في التفاعلات الأسرة الصحية بأنها واضحة ونفاذة أي تسمح بالنفاذ، وعندما تتميز الحدود بالإضراب وتشوه أداء النسق الفرعي لوظائفه تتصف الأسرة بالتشابك والمرضية (علاء الدين كفافي، 2006، ص 344).

وفي ذات السياق اشار "مينوشن" بوجود حدود داخل الانساق الفرعية و التي تتحدد بالقواعد يمكن ان تساهم بمختلف التفاعلات داخل النسق الاسري غير اذ كانت الحدود

صارمة او مرنة الى حد كبير مما يجعل النسق عرضة للاضطراب و الاختلال (Karine,2004,p60)

3. الهرمية:

استخدم منيوشن مصطلح الهرمية لوصف توزيع القوة في الأسرة، والعضو الذي يكون في قمة الهرم هو الشخص الذي يحوز معظم القوة العلائقية داخل الأسرة، وتؤدي الأسرة وظائفها على النحو جيد عندما تكون الهرمية واضحة بين الوالدين الذين يشكلان المستويات العليا ثم يليها المراهقون والأطفال الأكبر سنا ثم يأتي بعد ذلك الأطفال الصغار في المستويات الدنيا. (نفس المرجع، ص 345).

لقد استخدم منيوشن هذه الأبنية النظرية الثلاثة لوصف ديناميات الأسرة وليحدد القوى التي تؤدي إلى نمو المشكلات في النسق الأسري، والأنساق الفرعية ذات الوظائف المحددة تقوم بدور العوامل البنائية في الأسرة.

بهذا يؤمن منيوشن بالعلاقة الثلاثية (أب، أم، ابن) واتزان النسق معتمد على كل عناصره في تحقيق الاتزان، فكل عنصر له دور بصورة دائمة وهذا يؤدي إلى اختلاف توازن النسق.(Elkain Mony ,1994,p106)

إن مينيوشن في الأخير ينظر إلى الأسرة كسياق علائقي له أنماط بنائية يمكن التنبؤ بها، وأن المشكلات النفسية والسلوكية حسب مينيوشن تظهر عند الفرد في أي نسق أسري عندما يكون هناك خلل في سير ذلك النسق بهذا مينيوشن لم يهتم لخاصية تفاعل النسق (فعل ورد فعل) عن طريق الاتصال.

النظرية الإستراتيجية:

يرى هالي "Halley" أن التفكير النسقي جاء ليدرس الكل قبل التفكير في الجزء، وهذا تفكير يعطي أهمية للعلاقات بين مختلف تركيبات ذلك الكل، ويفترض أن كل نسق

يميل إلى الاتزان ولذلك تلجأ عناصر النسق إلى خلق اتحادات وتحالفات لتصبح القوة الناتجة عن الاتحاد مكافئة وموازنة لقوى أخرى في الأسرة.

ويرى هالي أن فعاليات هذه التحالفات تبرز خاصة في الأسر التي تسودها علاقات زواجية سالبة، ونجدها على ثلاث حالات:

1. **الاتحاد الثابت:** ينشأ في الأسرة التي تسودها علاقات زواجية سالبة، ويلجأ كلا الزوجين إلى خلق تحالفات مع الطفل وذلك لمحاولة خلق علاقة إيجابية معه، إن الطفل هنا سيعاني من انقسام في الولاء ويطور شخصية فصامية.

2. **الاتحاد المعكوس:** نجده في الأسرة التي يكون فيها أحد الوالدين متسلطا ويقمع حاجات الطرف الآخر، لذلك يتحد الطرف الضعيف مع عنصر ثابت ليخلق حالة من التوازن، كأن تلجأ الأم للاتحاد مع ابنتها ضد زوجها نتيجة ذلك تتطور علاقة سلبية للأب مع الابنة وينعزل الأب نفسيا وقد يلجأ إلى الهروب من البيت وإلى الكحول، تعاطي المخدرات.... إلخ.

3. **التحالف مع الجنس المماثل:** إذا وجد طفل مخالف من حيث الجنس للطفل الأول فإن الأب عادة يلجأ إلى الاتحاد مع الذكر، بهذا يصبح النظام متزنا، فالأب متحالف مع الابن والأم مع البنت إلى أن يكبر الأطفال ويرحلوا عن المنزل وتعود العلاقات الزوجية بين الزوجين.

4. **كبش الفداء طفل ضحية الأبوين:** تكون علاقات الزوجية أحيانا موجبة بين الزوجين، ولكن يفشل الآباء في تطوير علاقات ايجابية مع الطفل خاصة إذا كان غير مرغوب فيه، فالطفل هنا هو الضحية أو ما يسمى كبش فداء، إن شخصية الطفل تكون منقسمة على نفسها وسيكون مذعنا للسلطة ومضطرب نفسيا، أو قد يهرب من الأسرة مبكرا بحثا عن الدفء والحنان (سعيد حسين العزة، 2000، ص 24).

كما أن المقاربة الإستراتيجية تتمحور حول روابط القدرة والتسلسلات في المكانات، واعتبر أن العرض هو دائما تعبير مجازي عن مشكل عائلي وأي عمل على التحالف مع

الأب أو الأم لانجاز تسلسل جديد في الأدوار، وتغيير الثلاثية المشكلة من قبل الأولياء والطفل من أجل إمكانية تأطير وتقديم التوجيهات.

إن هالي يعتبر كل نسق يميل دوما إلى الاتزان عن طريق التحالفات واتحادات عناصر النسق والتي بدورها تظهر في العلاقات الزوجية السالبة.

هذه التحالفات تظهر على ثلاث أنماط هي الاتحاد الثابت، الاتحاد المعكوس، كبش الفداء، لكن هالي تجاهل جزء مهم من الفرد يؤثر بصورة أو بأخرى على تحديد طبيعة التبادلات داخل النسق ألا وهو تقدير الفرد لذاته.

نظرية بوين:

تعد "ماري بوين" « M.Bouen » من أحد أكبر رواد الأوائل في تاريخ العلاج الأسري النسقي، وقد تطورت نظريتها بين عامي 1957 – 1966، نبعت نظريتها من خلال خبرتها كطبيبة وكمختصة نفسية في عيادة طبية في الولايات المتحدة.

لقد تأثرت بوين بالمفاهيم النسقية في علم الأحياء، حسب بوين الأسر الإنسانية هي أنساق طبيعية، يحق أن تسمى بـ "الأنساق الانفعالية"، من أهم مفاهيم نظرية بوين:

أ- **تمايز الذات:** هذا المفهوم يعنف الناس من زاوية قدرتهم على الاحتفاظ بكل من النسق الانفعالي والنسق الذهني بعيدين عن الاندماج والخلط بينهما، فالناس الذين اختلط النسقان لديهم يكونون محكومين بالنسق الانفعالي ويجدون أنفسهم مشدودين إلى المعية، والذين كانوا قادرين على إحداث التوازن بين أنساقهم الذهنية والانفعالية يكونون قادرين على الاختيار الذي يناسبهم في خبرات الحياة.

ب- **المثلثات:** ترى بوين أن المثلث أو الوحدة المتكونة من ثلاث أشخاص أصغر نسق من العلاقات الثابتة، وفي الجماعات والأسر يكون المثلث هو حجر الأساس في بناء العلاقات، إنه جزء من الطبيعة الغريزية عند الإنسان.

ج- **النسق الانفعالي للأسرة النووية**: ويتضمن هذا النسق العمليات والأنماط الخاصة بالوظائف الانفعالية في حدود جيل واحد في الأسرة، ولكنه يكرر ما حدث بين الأجيال

السابقة، سوف يتكرر ما حدث فيه في الأجيال القادمة (علاء الدين كفافي 2006، ص 330).

د- **عملية الإسقاط في الأسرة:** إن عملية الإسقاط في الأسرة بدأ في الأصل مع القلق عند الأم فيما يخص بعض جوانب أداء ابنها لوظائفه، والذي يستجيب له الطفل بالقلق أيضا، فقد تصبح الأم قلقة بشأن شيء عمله الابن أو قاله، أو شيء تخاف أن طفلها قد يعمله أو قد يقوله، إن استجابة الطفل القلقة تفهم من جانب الأم لمشكلة عند الأم، وربما تصبح الأم زائدة الحماية في استجابتها للطفل، وعلى أي حال فإن رأي الأم في طفلها ينبع من قلقها الخاص أكثر من أي عامل آخر يرتبط واقعيا أو فعليا بالطفل نفسه، بهذا تسلك الأم بطريقة أن رأيها في الطفل يمثل الحقيقة، وبالفعل يبدأ الطفل في السلوك كما تتخيل الأم، وبناء على ذلك تهدأ الأم وتطمئن وبقدر ما يكون هدوء الأم يكون هدوء الطفل، وأخيرا فإن الطفل يستدخل إدراك الأم ويسلك طبق الصورة التي كونتها الأم عنه.

ه- **وضع الإخوة:** لقد قررت بوين سنة 1978 على أنه ليس هناك معلومة مفترضة أكثر أهمية في فهم أداء الأنساق الأسرية لوظائفها من وضع الإخوة في الأسرة بين الجيل الحالي والجيل الماضي، وتؤكد نظرية بوين على أهمية وضع الإخوة الوظيفي حيث تشخص ردود الفعل الانفعالية، فالطفل قد يؤدي وظائفه كابن أكبر من زاوية تحمله للمسؤولية أو كابن أصغر من زاوية الاندفاعية والمخاطرة والاعتمادية.

ترى بوين أن التحولات في الطبيعة الوظيفية لأوضاع الإخوة تصلح لاستخدامها كمؤشر على حدوث عملية الإسقاط داخل الأسرة الأصل حينما يؤدي الإخوة وظائفهم كما يتوقع حسب أدوارهم، فإن ذلك يدل على ندرة عملية الإسقاط داخل الأسرة وعلى ارتفاع مستوى التمايز أيضا (صالح الداهري، 2008، ص 120).

و- **القطعية الانفعالية:** تصف الطريقة التي يتعامل بها الناس مع ردود الفعل الانفعالية بين الأجيال، كما كانت ردود الفعل عالية ودرجة الخلط والاندماج مرتفعة زاد الاحتمال بأنه سيحدث نوع من القطعية بينهم، وتحدث القطعية في صورتين هما المسافة الفيزيقية (المادية) والانسحاب الانفعالي

ز- **النكوص الجملي**: قائم على درجة القلق في المجتمع، فقد افترضت أن نفس العملية النكوص التدريجي إلى الدرجات الأدنى في أداء الوظائف التي تحدث في الأسرة تحدث أيضا في المجتمع (صالح حسن الداهري، 2008، ص 334).

ح- **عملية النقل بين الأجيال:** يركز المفهوم على المستويات الأدنى من التمايز وردود الفعل الانفعالية مع الخلط بين النسق الذهني والنسق الانفعالي عندما يحدث ذلك عبر عدد من الأجيال.

بهذا فإن إحداث التوازن بين قوى المعية والاتصال مع قوى الانفصال والابتعاد، وكذا إحداث التوازن الوظائف الذهنية والوظائف الانفعالية يحقق درجة من التكامل للذات ومن ثم صحة الفرد وإذا كان العكس تظهر أعراض بدنية أو انفعالية واجتماعية لدى الفرد، لكن في الأخير بوين لم تولي الأهمية لنوعية القواعد التي تحكم الأنساق الأسرية.

تعريف النسق:

النسق هو مفهوم عام و ويكون موضوع لتعاريف متعددة و ولكن التعريف الاكثر استعمالا هو " مجموعة العناصر التي تتفاعل ،و اي تغيير في عنصر من العناصر يؤدي الى تغيير الكل "

و من خلال هذا التعريف نجد مفهوم النسق واسع ، حيث يمكن تطبيقه على اي ظاهرة.

كما يعرفه "جاك لسورن" "Jaque Lesourne" بأنه :

" un systéme est un ensemble d'éléments en interaction dynamique"

و النسق هو الكل المنظم و المتسلسل من العناصر المتفاعلة و الموجهة نحو هدف معين ،و كل نسق يختص بديناميكية و سيرورة علائقية خاصة و هو في مبادلات مستمرة مع سياقه حيث يؤثر و يتاثر به.

و عرف "هالي " " Hally" النسق الاسري على انه يعد من الانساق المعقدة في عناصره ، وهو النسق الحي المعقد ، انه جدير على ضبط الذاتي و يعتبر الاستقرار و

التغيير مفهومين ضروريين لبقاء النسق الاسري ، فالاستقرار ضروري من حيث اصابة الهدف كتشكيل الزوجين و الأولاد وتحويل الاجيال .(داليا مؤمن ،2004،ص95)

أما "عباس محمود مكي" عرفه على انه مجموعة من عناصر المتداخلة تحكمها قواعدها الداخلية و يحصل ذلك بالتجربة والخطأ و تصحيح الاوضاع الشاذة على اساس التبدلات الداخلية .

والنسق الاسري هو مجموعة علاقات و تواصل و افضل طريقة لوصف هذه الاشياء ليست بوصفهم كأفراد وانما كأشخاص في اتصال مع اشخاص اخرين ، و المهم ليس محتوى الاتصال و انما البعد العلائقي للاتصال بين الافراد ، وبذلك يمكن تعريف النسق في حالة تفاعل بين شخصان او اكثر يبحثان عن وضع تحديد لطبيعة علاقتهما .

و بما ان النسق يتكون من تفاعل ، فانه قبل محاولة و صف لوضعيته ، يجب مراعاة تكرار فعل ورد فعل .(علاء الدين الكفافي ،2006،ص280)

خصائص النسق:

1. مبدأ الكلية: Principe de Totalité:

بما أن النسق يعرف كمجموعة علاقات، لا يمكن تناوله كمجرد عنصر مستقل، فالجماعات ليست عبارة عن تجمع أفراد، وإذا أردنا ضبط ديناميكية الجماعة، فإنه على مستوى الكلية وليس على مستوى الأفراد، وكذلك جماعات مختلفة يمكنها أن تقدم خصائص مشتركة مستقلة عن الأفراد الذين تتركب منهم والاستنتاج من هذا المفهوم، هو أن النسق لا يمكن إرجاعه إلى مجموعة عناصره، فالجماعة ليست إضافة لمجموعة خصائص أعضائها التي تتركب منهم، وبالتالي فإن الكلية هي التي تفسر تصرفات العناصر أي الأفراد وليس العكس.

بذلك سيرورة التفاعل، لا يمكن الانطلاق من مفاهيم خاصة بالفرد مثل، الدوافع الشخصية، الطموح ولكن بواسطة التحليل النسقي لهذه السيرورات الذي لا يرتكز على

مفاهيم خاصة حيث يمكن أن توضح الخصائص الفردية، وهنا يظهر تحديد في إطار العلوم الإنسانية.

واستنتاج آخر لمبدأ الكلية الذي لا يصدر عن مقاربة خطية وأحادية الاتجاه بالنسبة للتفاعل مثل تأثير على فرد آخر، حيث أنه لا يمكن فقط عدم دراسة مثلا: سلوك الطفل باستقلالية عن علاقاته مع والديه، ولكن لا يمكن تحليل العلاقة.

أم/طفل ببساطة كرد فعل وتكيف هذا الطفل لمثير أمومي، فسلوك آلام في حد ذاته هو رد فعل لسلوك الطفل، وبالتالي لفهم أي تصرف خاص، فيكون عن طريق التفاعل أم /الطفل كوحدة موجودة في الإطار العائلي، وذلك عكس المعنى العام الذي يحاول إرجاع طبع الطفل إلى وضع الأم فقط على اتجاهات التربوية للأولياء.

إذن فكل وحدة Séquence هي في الحقيقة دائرية Circulaire، فالذي يظهر كإجابة يمكن كذلك أن يلعب دور مثير في حلقة مترابطة، وإنه في حالة اثبات على أن سلوك فرد "أ" مثير لسلوك فرد آخر "ب" فهناك إهمال لتأثير سلوك فرد "ب" على رد فعل للفرد "أ" وبالتالي هذه الوحدة سببية خطية.(داليا مؤمن ،2004،ص 120-121)

2. مبدأ رد الفعل: Principe de rétroaction

إن رد الفعل أو Le Feed Back يقود إلى تجاوز مفهوم الخطي السببي، وبذلك يكون سلوك مأخوذ في جو من الاشتراك، النشاط، وردود أفعال التي ترتبط بينهم، مثلا:

الطفل الذي يرفض أن يتناول وجباته الغذائية، هذا ليس معناه أنه له طبع سيء، ويريد مضايقة أمه، بل ربما لأنهما مشتركان في علاقة تحد وعجز مشترك، الذي تبلور على مستوى الغذاء، وأنه يفسر عدم ملائمة الحاجات ردود الفعل بين الطفل والأم، فإلحاح الأم لا يستطيع التعايش أمام رفض الطفل والعكس صحيح، وفي هذه الحالة يوجد شكلين لرد الفعل: يقود إلى تخفيف الظاهرة، ويكون بذلك كآلة تنظيم Mécanisme de régulation، حيث يمكن أن تزول هذه الظاهرة وتعود العلاقة إلى اتزان وانسجام ويتم

الاحتفاظ بالنسق في حالة مستقرة، مثلا الزوجة التي تستجيب لعدوانية زوجها بالخضوع وتخفيف الوضعية نقول أن هناك رد فعل سلبي.(سعيد حسين العزة ،2000،ص88)

3. مبدأ المحافظة على الاتزان الداخلي: Le Principe d'homéostasie

هي ميزة النسق "المنظم ذاتيا"، فأي نسق يستجيب لاضطراب ناتج عن عوامل داخلية أو صادرة عن المحيط بواسطة آليات منظمة، التي تؤدي بالكل إلى الرجوع لحالته الأولية. وأن هذه الميزة من بين الميزات الأساسية لنسق المفتوح المعقد والتي توجد بالخصوص في الأنساق: Ecologique، بيولوجية، واجتماعية، فهي عبارة عن أنساق محافظة على اتزانها الداخلي، ويمكن لها التعايش في المحيط معرض للتغير، وكذلك بالنسبة للمؤسسات الاجتماعية، فالعادات والقيم المنقولة خاصة بواسطة التربية لها الدور المنظم في الأنساق البيولوجية، والمحافظة على الاتزان الداخلي هي من ميزات الأساسية للأنظمة المفتوحة للتفاعل التي تحقق هوية واستمرارية عبر الزمن، ولكن كذلك آلية تعارض التغيير عندما يحاول النسق مواجهة التغيرات الداخلية أو محيطية مهمة، فإنها يمكنها أن تسيء إلى نوعية التكيفية، وإن الحفظ على الاتزان الداخلي الصارم يمكن أن يأخذ معنى سلبي من أجل توظيف أحسن للنظام.(داليا مؤمن ،2004،ص125)

وبذلك فإن سيرورة المحافظة على الاتزان الداخلي يمكنها أن تعرقل تكيف هذا النسق أمام التغيرات المحيطية اقتصادية، اجتماعية، ثقافية وبذلك فإن أكبر المشاكل التي تخص الأنساق الإنسانية هي الوصول إلى توافق بين إعادة التكوين والتطور، الاستمرارية والتحول.

4.مبدأ التفاعل L'interaction:

Ce concept, un des plus riches de la systémique, complète celui de globalité car il s'intéresseà la complexité au niveau élémentaire de chaque relation entre les constituants du

système pris deux à deux. Initialement emprunté à la mécanique où l'interaction se réduit alors à un jeude forces, la relation entre constituants se traduit le plus souvent dans les systèmes complexes,par un rapport d'influence ou d'échange portant aussi bien sur des flux de matière, d'énergie,d'information.Comme le montrera le concept de rétroaction, la notion d'interaction déborde largement la simple relation de cause à effet qui domine la science classique. Et connaître la nature et la forme de l'interaction est plus important pour le systémicien que de connaître la nature dechaque composant du système.

Si ces quatre concepts sont essentiels, il est nécessaire d'en connaître une bonne dizained'autres, plus directement opérationnels, pour commencer un apprentissage de systémicien.

أنواع الأنساق:

الأنساق المغلقة:

هي الأنساق المنعزلة عن المحيط والبيئة الموجودة فيها، ومن وجهة نظر ساتير أن الأنساق المنغلقة تعمل على نحو جامد بصرف النظر إلى مدى مناسبتها وقد وصفت النسق المغلق بأنه محكوم بالقوة والطاعة والحرمان والخضوع والذنب ولا يمكن أن يسمح بأي تغيير، لأن التغيير من شأنه أن يقلب التوازن وقد يميل أعضاء هذا النسق إلى عزل أنفسهم والانسحاب من مطالب مجتمع ومثل هذه الأسر لها قواعد إجبارية تجعل أفرادها يختلفون

عن الأسر الأخرى ويبنون حدود جامدة تحول دون تدفق المعلومات داخل النسق الأسري (علاء الدين كفافي، 2006 ص 313).

الأنساق المفتوحة:

هي أنساق تتسم بالتبديل والتغيير المستمر للطاقة والأخبار مع البيئة، من بين الأنساق المنفتحة نجد الأنساق الحية التي تتسم بالتطور مع الوقت من الولادة حتى الموت عبر المراحل التي تشكل ما تسميه بالدورة الحية « Cycle vital ».

حسب ساتير النسق المنفتح هو المنفتح على التغيير وهذه الأنساق تقبل لحل التغيرات للمشاعر بما فيها الأمل والحب والغضب والإحباط والحزن والمتعة (علاء الدين كفافي، 2006 ص 313).

وتكون التفاعلات بين أعضاء النسق الأسري متبادلة مع المحيط الخارجي باستمرار، ويمكن القول بأن هذه التفاعلات ضرورية للنسق الأسري لكي يحافظ على توازنه الحيوي (M. Born 2006, p 85).

دور المعالج النفساني:

يمكن إيضاح دور المعالج النفساني النسقي فيما يوضحه العالم P. Watzlawick (1999) حيث يقول:

« Ce qui m'intéresse c'est exclusivement la réduction de la souffrance d'une personne, d'une famille ou d'un systèmes. Pas de philosophie, pas de supposition sur la vérité réelle »

ولذلك فهو يرى أنه على الأخصائي النسقي أن يصل إلى تعريف المشكل بواسطة فهمه، وتعين الشيء الذي ينتج المشكل، ويرى أن المعالج النفساني مثل: الميكانيكي، إن العلاج النسقي مثل التحليل النفسي هي طريقة ونظرية، فهي طريقة علاجية تطبيقية التي تتميز بطابعها العمل مع العائلة أو الذين يعيشون معا. فالعلاج العائلي النسقي هو جزء من حركة فكرية واسعة، ونجد في ذلك تعبيرات الجشطالت البنيوية، نظرية الاتصال، نظرية

التحكم Cybernétique، النظرية العامة للأنساق، وتشترك هذه المجالات باهتمامها بالعلاقات البينية Interrelation الدائرية في المجموعة المنظمة لأن يكون النسق كوحدة غير قابلة للتجزئة إلى عناصر، ويكون تدخل المعالجين في الإطار النسقي عندما تكون هناك معاناة عائلية، وذلك عندما يكون الشخص في العائلة المفحوص لديه معاناة وتؤثر بدورها على باقي أفراد العائلة.

ونجد العديد من الدراسات التي بينت أن العائلة تتصرف كوحدة، ففي سنة 1954 D. Jackson اقترح مصطلح: Homéostase de famille التوازن الداخلي للعائلة وبذلك فإن العائلة تتصرف بطريقة تمكنها من تحقيق اتزان في علاقتها (طباس نسيمة، 2006، ص 82).

المفحوص المحدد:

هو أحد أفراد العائلة الذي يعتبر أكثر تأثرا بالعلاقات الزوجية، معبرة عن محاولة للتنفيس وامتصاص معاناة العائلة، وتوضح ذلك V. Satir (1971)

« Les chemins pathologieques de relation semblement s'etre concentrés à l'interieure de cette relation avec l'enfant porteur du symptome ».

إن المعالج النفساني يجب أن يكون حاضرا وفعالا في كل مستويات سيرورة العلاج النفسي، فهو الذي يستقبل المفحوص في أول حصة، ويخبره بأن الحصص محددة مسبقا.

وهذا ما يسمى بالعلاج النفسي المختصر Thérapie brèves، فالشيء الذي يحدد فعالية العلاج ليس عدد الحصص ولكن إيجاد حل للمشكل الذي يعانيه المفحوص، وأن تحديد عدد معين من الحصص يسمح بانتظار تغير سريع في فترة قصيرة.

وعند التحديد والتعريف بالمشكل، فإن الأخصائي النفساني يجعل من المفحوص يعيش حسيا المشكل وذلك بطرح السؤال التالي: (طباس نسيمة، 2006، ص 83).

« Que faites-vous maintenant à cause de votre problémes ? Que voudrez-vous faire et que ne pouvez pas faire à cause de votre problémes …… ? »

وعلى الأخصائي النفساني أن يستدعي كل شخص حاضر إلى التغيير والحديث حول المشكل، وذلك باجتناب البداية بالفرد – العرض، حيث يمكن له الشعور أنه محط أنظار الجميع حسب J. Halley (1979) في كتابه Nouvelles stratégique en thérapie familiale.

« Il aurait le sentiment d'etre le point de mire, comme si le thérapeute l'accusait d'etre la cause de la présence de tout le monde ».

ولذلك على المعالج أن يظهر أنه يشترك الجميع بدون أن يعطي الأفضلية للمريض المحدد. وبعد المناقشة مع أفراد العائلة، يطلب من العائلة التحاور فيما بينهم، ويرتكز على التفاعل العائلي، وأن العائلة في حد ذاتها منغلقة وأنها بحاجة إلى إيجاد حل لمشكلتها.

وبعد القيام بجرد للحلول المجربة سابقا، يطلب من الأفراد المتواجدين إلى الوصف المحسوس لسلوكياتهم لكي يدركون نفسهم للسلوكات الغير المتكيفة.

وأثناء الحصة الثانية وبسرعة نوعا ما، يستدعي المفحوص إلى اختيار الهدف من العلاج. وهنا يطرح السؤال عليه وتكون الصياغة السؤال كالآتي حسب J- (1972) Weakland

« Quel changement minimal dans le comportement vous indiquerait qu'un pas en avant à été fait vers la résolution de votre problèmes ».

غير أن المفحوص وأفراد عائلته لا يستطيعون تحديد الهدف من العلاج، ولكن المعالج النفسي هو الذي يساعدهم في ذلك وليس من الضروري تحويل العلاج القصير المدى إلى بحث مطول عن الهدف، كما أنه في هذه النظرة أي المقاربة النسقية فإن المعالج النفساني يظهر على الفور المعني ليس الفردي وإنما الجماعي للعرض المقدم من طرف أحد أفراد العائلة، والذي يعده كاضطراب ضروري للحفاظ على الكل في صحة سيكولوجية أو فيزيائية حسنة، وأن هذا التعريف من جديد للعرض الذي يحمله الفرد ينشئ ضغط في بعض المرات ضمن العائلة، وأن التوازن العائلي المحقق عن طريق هذا العرض يمكنه أن يقطع، وهذا يؤدي بالعائلة إلى مواصلة العلاج النسقي لإيجاد اتزان آخر، وبالتالي مواصلة العلاج هي مرتكزة على خلق عدم الاتزان لا تقل اهمية عن التقنيات المستعملة، وان الاتزان يحقق انطلاقا من الحصة الأولى وتعتبر مهمة خصوصا في العلاج العائلي النسقي، وأن عمل المعالج يرتكز على التفاعلات، وفيما يخص العناصر اللاشعورية تدرك من قبل المعالج لكن استعمالها بطريقة غير مباشرة. (طباس نسيمة، ص 84).

التقنيات المستعملة في العلاج النسقي:

في المقاربات العلاجية الكلاسيكية، فإن المريض لذاته يكون محط اهتمام المعالج النفساني بدون العودة إلى محيطه العائلي، وفقا لتقنية يختارها حسب ميولاته وإطار النظري، وقبل كل شيء أخذ فرد في معزل عن محيطه ومعالجته، وهذا يؤدي حتما إلى اعتباره "كمريض" أو "شخصية ذات اضطرابات"، أو إعطاء تشخيص لحالته، فيعتبر هذا التدخل خاطئ من الناحية العلاجية، فحسب J. Halley (1979) يرى أن: (طباس نسيمة، ص 87).

« La façon d'étiqueter un dilemme humain peut cristalliser un problème et le rendre chronique (…) donner à un enfant l'étiquette de « délinquant » (…) au cataloguer un adulte comme « alcoolique » ou « schizophrène » signifie qu'on

participe à la création d'un problème de façon telle que tout changement rendu difficile ».

كما أنه لا توجد تقنيات ثابتة Standard في العلاج النفسي، فيمكنها أن تنجح في حل المشاكل وأن تفشل في مواجهة البعض منها، ولذلك ينبغي لأن يكون هناك نوع من التلقائية والمرونة، فحسب J. Halley (1979):

« Une méthode standard de thérapie quelle que soit son efficacité avec certains problèmes, ne peut faire face avec succés à la grande variété des problèmes habituellement présentés. Souplesse et spontanéité sont nécessaires ».

ففي العلاج الكلاسيكي، فإن المفحوص هو الذي عليه يتحدث بلغة المعالج، وهذا يأخذ وقت كبير ولذلك على المعالج أن يتحدث حسب قيم، لغة، إدراك العالم الخارجي للمفحوص ويستعملها وبذلك تكون التوجيهات مألوفة لدى المفحوص ويتطلب كل هذا من المعالج، أن يتصرف حسب كل مفحوص.

مراحل الحصص العلاجية النفسية النسقية:

يمكن أن تقسم إلى أربعة مراحل ولكن حسب الترتيب التالي، ويمكن أن تدمج مرحلتين معا حسب P. Watzlawick (1975) هذه المراحل تكون كالتالي:

تحديد بدقة وبوضوح المشكل بعبارة محسوسة:

« Définir clairement le problème en termes concerts »

وتعتبر كبداية أولى للعلاج ولها هدفان: فالأول يتمثل في التعرف إن كان هناك مشكل حقيقي أو مجرد شبه مشكل كمعاناة ليس لها بواسطة العلاج النفسي مثلا كموت شخص قريب، فيمكن مساعدته في حالة وجود مشكل حقيقي الأمر الذي يتطلب الإيضاح لوضع

موضوع معين، فلا يوجد اكتئاب غامض، فهناك أعراض معينة، لا توجد فترات سيئة لكن فترات يمكن معالجتها وإصلاحها.

: Examiner les solutions déjà essayées

هذا الشخص يسمح بالتعرف على الحلول الغير الناجحة ما دام المشكل مستمر والتنبؤ بالتغيرات وإدراك النقاط الإستراتيجية الملائمة للنسق العائلي التي تمكن من إحداث تغيرات ففي هذا الطريق يمكن تنفيذ التدخل العلاجي وإعطاء معنى. (نفس المرجع، ص 89).

:Définir clairement le changement auquel on veut aboutir

لكي ينجح العلاج النفسي يجب تعيين هدف واضح، فالمريض الذي يأتي لطلب العلاج النفسي يكون ضحية لخلط كبير نتيجة لعدم إيجاد الحل المشكل الذي يعانيه، وحتى أنه غالبا لم ينجح في تحديده وعندما نسأله ماذا ينتظر من العلاج؟ فتكون إجابته غامضة فلديه خلط في مشاريعه، وبدون إهمال أو غض النظر عن رغباته رغم غموضها يجب مساعدته على إيضاحها بواسطة القيام بسلوكات مناسبة لذلك، فيمكن الوصول إلى هذه الأهداف وبمشاركته الفعالة مع تحسيسه بجو من الثقة في الوصول إلى ما يطمح إليه، مادام يعرف أين يريد الوصول.

:Formulet, mettre en œuvre un projet pour effectuer se changement

في المرحلة التي يبدأ فيها سيرورة التغيير بمعناه الحقيقي، فالتغيير ما هو إلا محاولة لإيجاد الحل وفي ذلك نستعمل مختلف التقنيات منها:

La paradox comme outil التناقض كوسيلة للعلاج النفسي thérapeutique عن طريق هذا التحليل G. Bateson (1995) يستخلص فهم المأزق المزدوج ومظاهره في الوضعية العلاجية يعتبر كوسيلة للتجديد فيما يخص العلاج

النفسي، ويعتبر بذلك كأساس في استعمالها كتقنية للعلاج، ولكن باختلاف عن المأزق المزدوج المرضي، وأن المعالج لا يدخل في مصارعة مع المريض، ولكن يمكنه إنشاء توجيهات متناقضة ولكن في اتجاه ايجابي ويساعد تدريجيا المريض على مواجهة ذلك، في double contrainte pathogène، فالفرد مهما فعل فهو كلتا الحالتين معاقب، ولكن في هذه الحالة فإنه أمام اختيار الذي تفرضه عليه الضرورة للخروج من المشكل الذي يعانيه.

فهذه النظرة إلى الوضعية العلاجية كغاية متناقضة، لديها مبدأين وهي معالجة المشكل باقتراح هذه الوضعية والذهاب إلى أبعد من ذلك، حسب مفهوم المريض لإيصاله إلى التغيير، أما الثاني فيتمثل في إيقاف المراقبة المنطقية وتعزيز القدرة على تسجيل وضعية بدون فهم التفاصيل. (نفس المرجع، ص 90).

كقاعدة أساسية Ne jamais enter en conflit avec le patient لكي يكون المعالج فعال في أداء علاجه، فيجب عليه أن لا يدخل في صراع مع المريض حتى ولو أن هذا المريض يقاوم العلاج فيكون التوجه حول التأكيد على ما يريد المريض إيصاله للمعالج، فبالرغم من أن المريض يصرح أنه يريد التغيير فإنه يسير في معنى عدم التغيير، ويطرح المعالج النفساني التساؤل: لماذا تريد الوصول إلى التغيير "أو" ليس من الواضح؟ كيف يمكنك الوصول إلى التغيير، ففي هذه الحالة يكون هناك نوع من التناقض مادام المعالج قد تقبل المريض في العلاج النفساني، وبذلك يمكن أن يؤدي إلى تغيير، كما يمكن للمعالج النفساني أن يحدد الحصص لكي يتم التغير في أسرع وقت ممكن، وأن المريض هو الذي يصرح بتغيره ولا يترك الحصص مفتوحة، وفي حالة مقاومة المريض للعلاج فهذا يلزم تأطير الوضعية بطريقة يجدها المريض متعارضة مع رؤية العالم الخارجي وبذلك يمكنه التخلي عن هذه وينتهي بتبني، بدون قصد السلوك الذي يمكنه التحرر من المشكلة.

Parler le langage de patient: وهي قاعدة أساسية التي اقترحها: Erigkson فينبغي دوما التحدث بلغة المريض، تعد سر نجاح المهمة العلاجية، وتتمثل في

تحديد مقاربة يمكنها إغراء المريض أي بمعنى تشويقه ويمكن استعمالها كركيزة في التدخل العلاجي.

منشأ الاتصال حسب التوجه النسقي:

في فترة الستينات، اعتبر الاتصال اللفظي كنموذج خطي، أين يتم إرسال المعلومات انطلاقا من منبعها عبر قناة باتجاه الفرد المستقبل أو عدة أفراد، وأن هذا المفهوم الضيق كان مسيطرا لفترة طويلة وموضوعه انحصر في دراسة القدرة على الإقناع.

غير أن الطريقة التي تتناول بها مدرسة Pallo Alto الاتصال ترتكز على نماذج نظرية ومفاهيم مستعارة لتطبق في التيار النسقي خاصة الآتية من نظرية التحكم، اللغة، المنطق، ومن جهة أخرى فهي ترتكز على فرضيات أساسية.

الفرضية الأولى:

تتمثل في أن ماهية الاتصال تتمحور حول سيرورات العلائقية والتفاعلية وبهذا المفهوم فإن الاهتمام منصب بدرجة أقل على الأفراد ولكن على الروابط التي تنشأ بين العناصر، وبذلك تكون المقاربة النسقية الإطار الأكثر ملائمة لمعالجة ظواهر الاتصال.

الفرضية الثانية:

فإن سلوك إنساني ذو قيمة اتصالية وبمعنى آخر كل العلاقات يمكن إدراكها كنسق واسع للاتصال في تفاعل متبادل.

الفرضية الثالثة:

التي تنص على أن الاضطرابات النفسية للشخصية التي يهتم بمعالجتها كل من الطبيب العقلي أو الأخصائي النفساني فهي تعود إلى اضطرابات في عملية الاتصال بين الفرد الذي يحمل العرض ومحيطه الذي ينتمي إليه، وبذلك يوجد اضطراب في الاتصال، فعن طريقة ميكانزماته يمكن فهم أغلبية الأمراض العقلية، وفي هذا التيار فمسألة معرفة إذا كان سلوك معين شعوري أو لا شعوري يفقد أهميته، وحتى أن الدور الذي يلعبه ماضي الفرد في التأثير على الحالة الآنية ليس مهم في فهم تصرفاته، أي عدم الاهتمام بالبحث عن نشأة السلوك.

ونستخلص من ذلك أن الاتصال ليس سيرورة خطية بين المرسل والمستقبل ولكن كسيرورة تفاعلية أين نجد الأفراد يشغلون بالتناوب أي من الوضعيات، وفي هذه النظرة فعن الاتصال يظهر كظاهرة علائقية، حيث يشكل كل من الأفراد الذين هم في تفاعل الوضعيات، السلوكات، نسق من الأفعال وردود الأفعال، مثيرات واجبات أي على شكل حلقة دائرية، ومعالجة الاتصال حسب الرؤية النسقية هو اعتبار بتعريف واسع كمجموعة عناصر في تفاعل دائم وأي تغيير في أي عنصر يؤثر على العلاقات بين العناصر الأخرى، فالاتصال عبارة عن نسق مفتوح للتفاعلات (طباس نسيمة، ص 92).

الاختلال الوظيفي للاتصال حسب التوجه النسقي:

نقول عن الاتصال أنه في حالة اختلال حيث بدلا من أن تكون وظيفته كرابط ايجابي بين الأفراد، فإنه يؤدي إلى إبعادهم وخلق سوء التفاهم، فكلما حاولوا الاتصال فيما بينهم فهذا يؤدي إلى ظهور مشاعر سلبية قد تصل إلى الصراع الحال ونشوء الاضطرابات في الاتصال في أي بعد من أبعاده.

العلاقة والمحتوى:

عند تبادل الاتصال فإنه يوجد مستويان مختلفان العلاقة والمحتوى، فالمحتوى يتضمن معلومات، رأي الحكم، الشعور، وفي نفس الوقت هناك إرساء علاقة بين الأفراد، فصعوبات الاتصال ناتجة غالبا عن بين هذين المستويين، فالترابط بين المحتوى والعلاقة يختلف من اتصال إلى آخر، فالخلط بينهما جعل المتحدثان في وضعية نزاع، رفض الأفكار، ولكن لا يوقف الحوار. ففي حالة التأكيد والرفض فإنه يوجد دائما جزء من الاعتراف بوجهة نظر الآخر بما أنه يوجد على الأقل تسجيل لأفكاره وبالعكس في حالة إنكار الشخص فهي كطريقة لإثبات أنه لا يوجد ويمكن أن يفسر كاحتقار أو يأخذ أشكالا أسوء من ذلك.(علاء الدين الكفافي ،2006،ص305)

خطأ في ترجمة الرسالة:

إن اللغة المنطوقة تستعمل في التعبير عن المحتوى واللغة غير اللفظية فهو في حاجة إلى تفسير الحوار غير اللفظي إلى حوار لفظي، وأن هذا التفسير يتطلب إذن إضافة عناصر إلى المعلومات المحصل عليها، وطبعا كل فرد يضيف عناصر حسب طاقته وإدراكه الذاتي لطبيعة العلاقة، وهذا يؤدي إلى أخطاء خطيرة في التأويل.

وأي من هذه الصعوبات في التأويل يجعل من الاتصال كمحرك للصراع وسوء ويكون أكثر عمقا.

استحالة التعليق والنقاش حول الرسالة:

يمكن للأشخاص الذين هم في تفاعل، أن يصححوا علاقاتهم وهذا ما يسمى بـ Méta communiquer الانطلاق من زوايا أخرى.

ويوجد في بعض العائلات التي تفرض على أفرادها، كقاعدة مظهريا أو ضمنيا لتجنب مواضيع غير مناسبة وعن أحاسيسهم اتجاه الآخرين، ولا يتحدثون عن مشاعرهم عند اجتماعهم وفي حالات أخرى يشعرون بالضيق والانزعاج عند تناول موضوع يعد « Tabou » مثلا العلاقات الجنسية بين الزوجين، فهم لا يفاتحون هذه المواضيع فمجرد

التحدث عنها يؤدي إلى تفاقم المشكل، أو تهرب من المسؤولية ويمكن أن يكون كنتيجة الخوف من إعادة النظر في العلاقة بين الزوجين، ويحسن بذلك يفشل في بناء علاقتهما، فالعرض يمكن أن يكون كبديل عن صعوبة التعليق والمناقشة Méta communiquer وعن الأمور لم يستطع التعبير عنها بواسطة اللغة المنطوقة.(ميزاب ناصر،2007،ص 190-193)

اضطرابات نماذج الاتصال:

إن التشابه والتكامل في الوضعيات لا تعتبر في حد ذاتها حسنة أو سيئة ويعتبران نموذجان للتفاعل، ويخضعان لنماذج علائقية مختلفة التي يمكنها أن تتعاقب لدى نفس الفرد وذلك حسب الإطار الموجود فيه وحسب طبيعة الفرد المشارك في هذه الوضعية، وتكون هناك مشكلة عندما ينتج تحمس أكثر لإحدى النماذج أين نجد الأفراد لا يستطيعون الاتصال فيما بينهم خارج تشابه متشدد أو تكامل متشدد أي Stricte complémentarité, Striete symétrie، فعلاقة التشابه الملاحظة بصفة صارمة تصبح بسرعة عبارة عن علاقة الثورة والنقاش الحاد، فيكون هناك نوع من الصعود في رغبة للوصل أو إظهار إلى أخر التساوي في المكانات والأدوار، والمعاملة بنفس السلوكات المتبادلة، فهذا ما نجده مثلا: بين الزوجين عند الغضب ضد الإحباط أو الخضوع للآخر، ومثل هذا الاتجاه يؤدي إلى رفض الفرق بين هؤلاء الأفراد، حيث أن كل شكل من التكامل يعاش كعدم العدل في المكانات الغير المحتملة، وتفسر العلاقة دوما على أنها كرابطة تعتبر عن قدرة الفرد اتجاه الآخر والتي تكون في بعض الأحيان مرفوضة.

أما التطور المضطرب للعلاقة التكاملية يمكن أن يأخذ شكلين للانحراف، فالأولى تأخذ من الفروقات المتواجدة بين الأشخاص كعدم التساوي، والضغط، فالفرد الآخر الذي يكون في الوضعية السفلى، أما الثانية فتظهر في التكامل الصارم الذي لا يعطي المكانة لأي تغيير ولأي تطور يسمح للأفراد بتغيير علاقتهما.(داليا مؤمن 2004،ص 130)

الاتصال المتناقض La Communication Paradoxale:

الرسالة المتناقضة Message paradoxal، هي تلك الرسالة التي تتضمن في نفس الوقت محتويان متعارضان وتظهر خطورة هذا النوع من الاتصال ولا تكون لديه القدرة للخروج من هذا الإطار المفروض عليه بواسطة هذا التناقض وذلك لأنه لا يمكنه مناقشة محتوى الاتصال أو بإظهار عدم التوافق وهذا ما سماه G. Bateson بالمأزق المزدوج، وهي أساس الفصام وكنموذج للاتصال المتناقض.

تجزئة أحداث الاتصال: La Ponctuation de la communication:

إن العبارة La Ponctuation de la séquence des faits لقد تم اقتراحها من قبل العالم اللغوي L. Benjamin وأخذها عنه Bateson et Jackson، وتعني الطريقة التي يجزأ بها الأفراد الذين هم في تفاعل واتصال تبادلاتهم والذي يعتبر في البداية كمرحلة تابعة لاتصالهم كما تعني كذلك رأي كل فرد في التفاعل الذي يحمله عن سلوكه وعلاقته مع الآخر، وأن تجزئة تعاقب الأحداث تختلف من فرد لآخر، فكل فرد يدرك سلوكه وعلاقته مع الآخر بطريقة مختلفة مثلا: الزوجان اللذان يتصرفان بطريقة مغايرة، فالزوج الذي ينعزل في أريكة ويطالع الجريدة ويعتبر ذلك أنه في هدوء، والمرأة التي تعتبر سريعة الغضب ترى أن الزوج يتجنب بهذا السلوك رؤيتها وذلك بأنهما يجزئان تعاقب الأحداث بطريقة مختلفة، وأن النظرة التي يحملها الأفراد أثناء سيرورة التفاعل فهو جزء من هذا التقطيع La Ponctuation فنفس السلوك يمكن أن يفسر ويعطي له معنى بطرق مختلفة ويمكن أن يتبع حسب الحالات بوضعية مزعجة غامضة أو الدخول في صراع أما التساؤل عما كانت أي من الطرق في تجزئة تعاقب الأحداث وفهمها صحيحة أم خاطئة فهذا لا يعتبر ذو أهمية ولكن ينبغي الفهم أن هذه التجزئة أساسية في استمرار الاتصال وأن طبيعة العلاقة تختلف حسب الطريقة التي تجزأ بها الأفراد تبادلاتهم، كما يوضح ذلك P. Watzlawwick (1972)

« la ponctuation structure les fais de comportement, qu'elle est donc essentielle à la poursuite de l'interaction ».

تعريف الأسرة:

الأسرة هي جماعة مكونة من الزوج والزوجة والأولاد وهم يقيمون في مسكن واحد ولهم أدوار معينة، كما أنها تعتبر من أهم المؤسسات الاجتماعية التي يتكون منها البناء الاجتماعي للمجتمع وليس لمصطلح الأسرة تعريف ومعنى واضح يتفق عليه العلماء فلقد تعددت تعريفات الأسرة على حسب اتجاه كل عالم وتخصصه.(محمد سند العكايلة ،2006،ص223)

الأسرة في اللغة:

هي الدرع الحصينة، وأهل الرجل وعشيرة، وتطلق على الجماعة التي يربطهم أمر مشترك وجمعها أسر.

وجاء في تعريف موسوعة علم النفس للأسرة على أنها جماعة من الأفراد المتحدين بروابط تتعدى الأجيال والمتعلقة ببعضهم البعض من حيث العناصر الأساسية للحياة.

كما يرى العلماء والباحثين في علم النفس وعلم النفس الاجتماعي أن الأسرة هي من تهتم بتلبية حاجيات الأولية للطفل الصغير كما أنها تعتبر كمجتمع مبسط والذي يوفر له الإطار الضروري لتطوره العاطفي من أجل بلوغ النضج والذي يتمثل في نمو الفرد وعلاقته مع المجتمع، نموا متوافقا مع سنه والذي يدور حول قدرته على التماهي مع المجتمع.

يعتبر العديد من علماء الاجتماع أن الأسرة هي عبارة على مؤسسة قادرة على التفكير والإحساس والفعل على أساس مجموعة من الالتزامات المعرفية ومجموعة ما الأمور كالثقة والحب والحنان وتتغير طبيعة الأسر، بتغير المجتمعات فهناك أسر النووية والتي تتكون من

أب وأم والأولاد وأسر الممتدة بالإضافة للأجداد والأعمام والعمات.(صالح حسن الداهري ،2005،ص 154)

والأسرة على حسب تعريف كل من أوغبرن Ogburn ونيمكوف Nimkoff "هي عبارة عن منظمة دائمة نسبيا تتكون من زوج وزوجة مع أطفال أو دونهم، أو تتكون من رجل وامرأة على انفراد، مع ضرورة وجود أطفال، وتربط هؤلاء علاقات قوية متماسكة تعتمد على أواصر الدم، والمصاهرة والتبني والمصير المشترك".

يعرفها مي ردوك "هي جماعة اجتماعية تتميز بمكان إقامة مشترك، وتعاون اقتصادي ووظيفة تكاثرية، ويوجد بين إثنين من أعضائها على الأقل علاقة جنسية يعترف بها المجتمع، وتتكون الأسرة على الأقل من ذكر بالغ وأنثى بالغة، وطفل سواء كان من نسلهما أو عن طريق التبني". (زينب محمد حقي،2009،ص 129)

الأسرة نتاج اجتماعي يعكس صورة المجتمع الذي توجد وتتطور فيه، ففي مجتمع سكوني تبقى البنية الأسرية مطابقة له، وفي مجتمع تطوري أو ثوري فإن الأسرة تتحول حسب إيقاع وظروف التطور لهذا المجتمع

"إن الأسرة هي الأشخاص الذين يعيشون تحت سقف واحد وعموما هم الأولياء والأولاد". (صالح حسن الداهري ،2005،ص 155)

ورغم اختلاف أنماطها إلا أنها تتكون كل منها في مجموعها من ثلاثة أعضاء على الأقل ينتميان إلى جيلين فقط (جيل الآباء و جيل الأبناء) و هي تشتمل على شخصين بالغين و هما الذكر و الأنثى اللذين يعرفان بأنهما الأبوان البيولوجيان للأطفال، إلا أنهما يقومان في العادة بالالتزام الاقتصادي اتجاه الوحدة الأسرية.

أنواع الأسرة:

بالرغم من التغيرات والتطورات التي تشهدها المجتمعات الإنسانية عبر التاريخ فإن هناك متعددة ومتنوعة من الأسر تختلف بناءها ونظم القرابة وتغير الوظائف الخاصة بها

فهناك العديد من التصنيفات لأنواع الأسر يمكن أن نذكر أهمها فيما يلي: الأسرة النووية المركبة، العائلة، المساواة والاستبدادية.

الأسرة النووية:

الأسرة النووية هي اصطلاح استعمله البروفسور **روبرت مكايفر** في كتابه "المجتمع" وهو يعني الأسرة الصغيرة الحجم التي تتكون من الزوج والزوجة، والأطفال، الذين يعيشون في بيت واحد وتوجد في المجتمعات الحضرية والصناعية وفي البيئات المهنية والمتوسطة ويسود الجو الديمقراطي على هذه الأسرة، نظرا لتساوي الزوج مع زوجته وعدم تعرض الزوج إلى القيود التي تفرضها عليه سلطة العائلة.

حيث يصبح التوافق بين الزوجين أهم من التوافق الذي يحدث بين الأقارب، ولا يعني ذلك استقلال الأسرة الزوجية عن غيرها من أشكال القرابة أو عزلتها من أنواع العلاقات القرابية الأخرى التي يكون دورها الأسري هامشيا، وتعد الأسرة النووية النمط المميز الأسرة في المجتمع المعاصر.

الأسرة نووية تعتبر الآن ظاهرة اجتماعية عالمية وترجع عالميتها إلى الوظائف الأساسية التي تؤديها، والمشكلات التي قد تترتب على قيام أية جماعة أخرى بهذه الوظائف ويمكننا أن نلمس أربع وظائف أساسية تؤديها الأسرة النووية في الحياة الاجتماعية الإنسانية وهي: الوظيفة الجنسية، الاقتصادية، التناسلية والتربوية.(محمد سند العكايلة ،2006،ص 226)

هذا يعني أن الأسرة النووية متكونة من الزوج والزوجة والأبناء غير المتزوجين الذين يقيمون تحت سقف واحد وهي الوحدة الأساسية لنظم القرابة، كما أنها مظهر من المظاهر المجتمعات الإنسانية المعاصرة، وهي تتسم بترابطها وتضامنها الاقتصادي والاجتماعي.

الأسرة الممتدة:

هي مجموعة من الأسر النووية، تتكون بنائيا من ثلاثة أجيال أو أكثر، تضم الأجداد وأبنائهم المتزوجين وغير المتزوجين وكذلك الأحفاد، هؤلاء تربطهم علاقات اجتماعية ناتجة من العلاقة القائمة بين الآباء والأبناء، ويسكنون مساكن منفصلة لكن متجاورة، وهنا تكون الأسرة وحدة متلازمة ومستمرة عن طريق الاتصالات اليومية.

تعتبر الأسرة الممتدة نمطا شائعا في المجتمعات البدائية والمجتمعات غير الصناعية وهي عبارة عن جماعة الملكية فيها عامة والسلطة فيها الأب أو الأخ الأكبر، وبمعنى آخر هي الجماعة التي تتكون من عدد من الأسر المرتبطة سواءا كان النسب فيها إلى الرجل أو المرأة، ويقيمون في مسكن واحد وهي لا تختلف كثيرا عن الأسر المركبة أو العائلة.

هذا يعني أن الأسر الممتدة هي أسر كبيرة الحجم تتكون من الزوج والزوجة والأطفال والأقارب الذين يعيشون جميعا في بيت واحد، تربطهم علاقات اجتماعية قوية حيث نجد هذا النوع في المجتمعات المحلية العشائرية، القبلية، الزراعية والقروية، تكون السلطة للأب ويحتل منزلة اجتماعية أعلى بكثير من منزلة الأم في اتخاذ القرارات التي تتعلق بمستقبل العائلي ككل.

العائلة:

هي نموذج أسري يتوسط الأسرة النووية والأسرة الممتدة، والأسرة العائلية تتميز بأنها أكثر وحدة وأقل فردية من الأسرة النووية، لأن أكثر اهتماماتنا تدور حول العلاقة بين الآباء وأبنائهم حتى بعد زواجهم، حيث يستمر الاتصال بينهم ويأخذ صورا عديدة من بينها التشاور والزيارات والعون والتبادل.

نلاحظ من خلال هذا النوع من الأسر العائلية هي التي تقع بين الأسر النووية والأسرة الممتدة، إذ أنها يتوسع نطاقها لتشمل الأبناء المتزوجين، لكنها لا تصل إلى نطاق الأسرة الممتدة، والعلاقات بين الأفراد يسودها التعاون والتشاور. (محمد سند العكايلة ،2006،ص223)

أسرة المساواة:

تقوم على أساس المساواة بين جميع الأعضاء خاصة الزوج والزوجة، وتزايد انتشار هذا النموذج في المجتمعات الصناعية المتقدمة، ولا يكون في هذه الأسر أي من الزوجين سلطة خاصة أو امتياز خاص، لا يتمتع به الطرف الآخر، لأنها تقوم على أساس التآلف والتفاهم والمساواة بين الزوجين.(زينب محمد حقي ،2009،ص135)

يتبين لنا أن هذا النوع يرتكز على المساواة بين أفرادها، وهذا الشكل من الأسر منتشر في المجتمعات المتقدمة ولا يوجه بين الزوج والزوجة أي سلطة خاصة كونها تقوم على أساس التفاهم والمساواة بينهما، وتكون السلطة موزعة بين أفرادها ويتقاسمون المسؤولية في إدارة شؤونهم، وسميت أيضا بالأسرة الديمقراطية كونها تقوم على مبادئ الاحترام والتقدير بين الزوجين.

الأسرة الاستبدادية:

هي نوع من الأسرة التي يسيطر فيها غالبا الأب على الأسرة، إذ يعتبر رئيس ومركز القدرة والسلطة ذات طبيعة مطلقة، وتكون الزوجة مليكة للزوج وليست لها شخصية اجتماعية أو قانونية، وهناك نوع آخر من الأسر يكون محورها الأم، حيث تكون مركز التأثير الأول، بينما دور الأب يكون سطحيا، لكن لا تصل فيه الأم إلى درجة الاستبداد بل تمثل التأثير في تصريف شؤون الأسرة، نظرا لعدة اعتبارات، منها انشغال الأب في العمل لساعات طويلة أو لغيابه لفترات طويلة.

نرى من خلال هذا النوع من الأسر فيها يكون أحد الأبوين هو المسيطر والآخر يخضع للأوامر والسلطة، دون أن يكون هناك أي نقاش أو تفاهم حول القرارات المتخذة في شؤون الأسرة.(محمد سند العكايلة،2006،ص208-209)

مميزات الأسرة:

تعتبر الأسرة من أهم عناصر البيئة وأقدم جماعة تكونت على سطح الأرض، فهي أول خلية يتكون منها البنيان الاجتماعي، وهي أكثر الظواهر الاجتماعية عمومية وانتشارا وهي أساس الاستقرار في الحياة الاجتماعية.

كما تعتبر حجر الزاوية التي ترتكز عليه بقية المؤسسات الاجتماعية الأخرى، حيث أن صلاح أو فساد هذه الأخيرة مرتبط بها، وتمارس الأسرة نفوذا كبيرا على أفرادها، إذ تكون أول منظمة اجتماعية تستقبل الفرد وتوفر له الرعاية والغذاء وكل متطلبات التنشئة الاجتماعية، وهذا الفرد يخضع لعاداتها، تقاليدها وأعرافها، ويتفاعل تفاعلا مباشرا مع أعضائها الآخرين.

على أساس ذلك يمكن لنا أن نسرد بعض المميزات العامة التي تشترك فيها الأسرة في جميع المجتمعات وعبر الزمن والمتمثلة فيما يلي:

1. إن الأسرة تتكون من أشخاص تربطهم رابطة الزواج والدم أو التبني.
2. تقوم الأسرة على قواعد تنظيمية وأوضاع ومصطلحات يقرها المجتمع فهي ليست عملا فرديا وإنما من صنع المجتمع.
3. الأسرة دائمة ومؤقتة في نفس الوقت، فهي دائمة من حيث هي نظاما موجودا في كل مجتمع إنساني، في كل زمان ومكان، وهي مؤقة من حيث أنها تأخذ الانهيار عندما يتزوج الأبناء، وفي حالة موت الزوج أو الزوجة، وتنهار تماما وتختفي بموت الزوجين لتحل محلها أسر أخرى.
4. أن أعضاء الأسرة يضمهم مكان واحد للمعيشة، وقد يتخذ البيت أشكالا مختلفة تبعا لظروف وعادات المجتمع.
5. يتميز أفراد الأسرة بانتسابهم إلى اسم عائلي موحد يحملونه، ويرتبطون بروابط القرابة والانحدار من أصل واحد.
6. تعتبر الأسرة وحدة للتفاعل المتبادل بين الأشخاص من خلال الأدوار الاجتماعية كما يحددها المجتمع.

7. الأسرة وحدة ديناميكية، يمارس فيها الفرد علاقاته الأولية من المحيطين به، وهم أفراد الأسرة حيث يتعلم الحب والكراهية، التعاون والتنافس، التسلط والخضوع.

نستنتج أن الأسرة كما وصفها العلماء، العامل الأول الذي ترجع إليها المسؤولية في تربية وتنشئة الطفل، عن طريق غرس المبادئ والقيم الأخلاقية في نفسيته، وذلك أثر تواجده الدائم والمستمر فيها. (صالح حسن الداهري ،2008،ص 75-76)

فالأسرة تتكون من مجموعة من الأفراد تربطهم رابطة الزواج والدم يضمهم مكان واحد للعيش ويكون لديهم اسم عائلي موحد، حيث يتبادل أفرادها مجموعة من الأدوار الاجتماعية حسب ما تحددها قوانين ذلك المجتمع، وتتميز الأسرة على أنها وحدة ديناميكية يجمع بين أفرادها مشاعر الحب والكراهية والتعاون، التنافس التسلط والخضوع عن طريق التعلم كما تعتبر دائمة لأنها نظاما تتميز به كل المجتمعات في كل وقت وفي كل مكان ومؤقتة لأنها تنهار أحيانا عندما يتزوج الأبناء أو في حالة موت الزوج أو الزوجة.

وظائف الأسرة:

كانت الأسرة منذ القدم تقوم بجميع الوظائف الاجتماعية في الحدود التي يسمح لها نطاقها، وبالقدر الذي تقضيه حالتها الاقتصادية والدنية والخلقية والقضائية...، ومع ذلك فإن وظائف الأسرة تكاد تكون واحدة في كل المجتمعات، ويمكن القول أن أسرار تأثير الأسرة كمؤسسة اجتماعية إنما يعود إلى الوظائف التي تؤديها للجميع، وعليه سنتطرق إلى أهم الوظائف الجوهرية التي تحملها الأسرة على عاتقها في تنشئة الفرد فيما يلي:

1. الوظيفة البيولوجية:

هي تشمل الإنجاب والتناسل وحفظه من الانقراض، وتختلف هذه الوظيفة باختلاف نوع المجتمع الذي توجد فيه الأسرة وباختلاف شكلها.

حيث تعتبر الأسرة المجال المشروع اجتماعيا لإشباع الدوافع الجنسية، وتعتبر وظيفة الإنجاب من أهم وظائف الأسرة، وحتى يمكن إنجاب أطفال تتوافر فيهم كافة الشروط

الصحية اللازمة، لابد أن تكون الناحية الجسمية للأبوين سليمة وكذلك العقلية وأن يكون عدد الأفراد في الأسرة نموذجيا يحقق التوازن بين موارد الأسرة واحتياجات أفرادها.

مع ذلك أثبتت الدراسات الميدانية، أن بعض المجتمعات لا تعطي أولوية لهذه الوظيفة، فهي تسمح بالخبرة الجنسية للصغار قبل الزواج أو خارج نطاق الأسرة، وتضع مجتمعات أخرى، عقبات متعددة إزاء هذا النوع من العلاقات الجنسية تختلف من مجتمع لآخر، وقد تختلف في المجتمع الواحد.(سعيد حسين العزة،2000،ص84)

يتبين لنا من خلال هذه الوظيفة أنها أساسية وضرورية للحفاظ على بقاء النسل على مرء العصور والأجيال فالأسرة فيها يتم إشباع الدوافع الجنسية بطريقة شرعية، ووظيفة الإنجاب من أهم وظائف الأسرة ويشترط أن تكون الصحة الجسمية والعقلية للأبوين سليمة ويجب أن يكون هناك توازن بين عدد أفراد الأسرة الواحدة ومواردها واحتياجات أبنائها.

2. الوظيفة النفسية:

هذا بتوفير الدعم النفسي للأبناء وأن أهم وظيفة تضمنتها الأسرة للأبناء هي تزويدهم الإحساس بالأمن والقول في الأسرة.

كما توفر الأسرة لأبنائها مظاهر الحب والعطف والاهتمام والرعاية والاستقرار والحماية مما يساعد على نضجهم النفسي، وقد تبين بصورة واضحة أن الكثير من الأمراض النفسية التي تصيب الأبناء ترجع إلى الافتقار إلى الحب والدفء والعلاقات العاطفية وأن قدرا كبيرا من التكامل الانفعالي العاطفي، يتوقف على ما يوفر للأبناء من إشباع لرغباتهم المتعددة.

يلاحظ أن هذه الوظيفة تقوم بها الأسرة لتوفر الدعم النفسي لأبنائها ولقد أصبحت من أهم الوظائف التي تقوم بها وتعمل على توفير الراحة النفسية لأبنائها قدر الإمكان حيث تزودهم بالإحساس والشعور بالأمن والاطمئنان والثقة بالنفس عن طريق قبولهم في الأسرة كأفراد لهم مكانتهم وأهميتهم.(صالح حسن الداهري ،2008،ص 60)

3. الوظيفة الاجتماعية:

تتمثل في علمية التنشئة الاجتماعية للطفل داخل الأسرة بوضع اللبنات الأولى لحياة الطفل من خلال أسلوب التربية والمعاملة الوالدية، وترتبط التنشئة الاجتماعية والخلقية للطفل في المنزل، كونه يوفر الكثير من الأشكال الترويحية له وما تزال الأسرة هي المصدر الذي يزود بالتدريب الأساسي في مجال الاتجاهات الاجتماعية والعادات التي تساعد على تشكيل الحياة الاجتماعية مستقبلا.

فالتنشئة الاجتماعية كانت في الماضي تقع على عاتق الأسرة التقليدية حتى سن النضج تقريبا، لكن التغير الذي طرأ على الأسرة بنائيا ووظيفيا نقل جوانب عديدة من التنشئة الاجتماعية إلى مؤسسات أخرى كالمدارس والنوادي ومع ذلك فإنه من الواضح أن هذه الوظيفة مازالت تمثل أهم وظائف الأسرة (زينب محمد حقي ،2009،ص 145)

وتكمن أهمية التنشئة الاجتماعية في النوات الخمسة الأولى في حياة الطفل على وجه الخصوص، ففي هذا السن يتم تطبيعه اجتماعية وتعويده على النظم الاجتماعية والتربية الجنسية، كما يتم من خلال هذه الوظيفة إعطاء الدور والمكانة المناسبين للطفل وتعريفه لذاته وتنمية مفهومه عن نفسه وبالتالي تحقيق الصحة النفسية.

وتعد الأم الشخص الأول المكلف بجلب الحب الذي يعد من الركائز اللازمة للنمو العاطفي، السليم للطفل، حيث تقوم بدور رعاية أبنائها جسميا، وبالتدريج يتدخل الأب في تربيته، ونظرا للتطور الحضاري للمجتمعات لاسيما في عملية التنشئة الاجتماعية، جعل المرأة تتحمل العبء الأكبر في رعاية أطفالها، بينما كان يشترك في تحمله في الماضي كبيرات السن في الأسر الممتدة، وقد أجمع الكثيرون على أن معاملة الطفل بطريقة تجمع بين اللين والشدة تبعا للمواقف المختلفة من أفضل وسائل التربية حيث أن الثواب والعقاب لهما أهمية في تربية الطفل.

يتبين لنا من خلال هذه الوظيفة أن لها دور في توفير الدعم الاجتماعي ونقل العادات والتقاليد والقيم والعقائد السائدة في الأسرة إلى الأطفال وتزويدهم بأساليب التكيف، كما

تتضمن توريث الملكات الخاصة، حيث أن الأسرة هي التي تقوم بدور الوسيط بين أبنائها وبين المجتمع وما يحويه من تقاليد وعادات، ولغة راقية وقيم وقوانين، وهي التي تنمي فيهم أنماط التنشئة الاجتماعية في المجتمع، كما تقوم الأسرة بعملية التطبيع الاجتماعي عن طريق تنمية العواطف الاجتماعية في نفوس أبنائهم وهو صغار، والمحافظة عليها في المراهقة وسن الرشد وذلك من أجل تمكينهم من القيام بأدوارهم الاجتماعية المختلفة.(نفس المرجع ،2009،ص147)

4. الوظيفة الاقتصادية:

ويقصد بها توفير المال الوافي واللازم لاستمرار حياة الأسرة وتوفير الحياة الكريمة.

فالأسرة جماعة اجتماعية مسؤولية عن توفير الحاجات المادية لأفرادها، فهي تطعمهم وتأويهم وتكسيهم، وكانت فيها ماضي يمثل وحدة إنتاجية مكتفية بذاتها، وفي عصرنا الحالي ونتيجة للتطور في وسائل الإنتاج أصبحت الأسرة تمثل الوحدة الإنتاجية استهلاكية في الريف ووحدة استهلاكية في المدن.

فقد أخذت الوظيفة الاقتصادية الشركات والمعامل والمصانع الخاصة بإنتاج كل ما يحتاج إليه أفراد الأسرة من مستلزمات، فأصبح دخل الأسرة الشهري والسنوي يصرف على الكميات.

ورغم أن الحاجات المادية مختلفة ومتباينة ونسبية لكل إنسان تبعا لوضعه في المجتمع ومستواه الذي يرتبط به وبدخله، فإن مفهوم الوظيفة الاقتصادية في التكامل الأسري لا يعني تحقيق مستوى معين لمختلف الأسر، بل يعني وجود موارد اقتصادية للأسرة تكفي لمواجهة الاحتياجات المادية لأفرادها، ومعنى هذا أنه يمكن أن تختلف المستويات الاقتصادية لكل أسرة عن الأخرى، إلا أنه لابد من تحقيق الاحتياجات المادية لأفرادها من أجل بقائها واستمرارها.

من الملاحظ أن الوظيفة الاقتصادية أساسية في حياة الفرد داخل الأسرة، ويقصد بها التوفير المادي الذي يؤدي إلى ضمان توفير حياة إنسانية اجتماعية كريمة لأفرادها وإبعادها عن الحرمان والشعور بالنقص، ولكي يتحقق ذلك يجب القيام بالتخطيط الصحيح لإنفاق دخل الأسرة في جوانب حياتية تنفعها، وحتى يتحقق ذلك يجب على الأب والأم والإخوة الاشتراك في توفير هذا الدعم المادي حتى يكون بالإمكان تأمين مستقبل الأسرة وأفرادها.

5. الوظيفة التعليمية:

على الرغم من انتقال التعليم من المنزل إلى المدرسة، فمازال للأسرة دورها الفعال في هذا المجال، حيث أنها تقوم بالإشراف على متابعة أبنائها في الواجبات المنزلية وفهم الدروس، ويمكن أن نقول أن الوالدين هما اللذان يحددان مدى تقدم أو تأخر الطفل في المدرسة، والدليل على ذلك أن الآباء اليوم يقضون وقتا أطول لمساعدة أبنائهم في استذكار دروسهم أكثر من ذلك الذي يقضيه الإباء مع أبنائهم في الماضي (زينب محمد حقي ،2009،ص 165)

فالوظيفة التعليمية من أهم الوظائف التي تقوم بها الأسرة تجاه أبنائهم، فلها دور فعال في مساعدة أبنائها في استذكار دروسهم ومتابعتهم دراسيا بالإنفاق عليهم وتلبية حاجياتهم فالوالدين هما اللذان يحددان مدى تقدم وتأخر أبنائهم في المدرسة.

مما سبق نستخلص أن الأسرة تحتاج إلى سلامة أعضائها الجسمية، وتدبير ما يلزمها من خدمات صحية، كما تحتاج إلى صحة نفسية، تساعدها على مواجهة أزمات الحياة وتحتاج إلى علاقات اجتماعية سليمة، التي تساعدها في تحقيق جو خال من الصراع والتوتر بين أعضائها، لأن تفكك وحدة الأسرة لأي سبب من الأسباب يؤدي في بعض الأحيان إلى شقاء أكيد للفرد، فمثلا وفاة أحد أعضاء الأسرة الأساسين يؤدي إلى انهيار الأسرة، حيث هناك كثير من الحالات التي يسود فيها القلق، يجعل أعضاء العائلة ينفرون من بعضهم البعض، فلا يحدث التعاون والتماسك بينهم.

تصنيفات "Le Blanc"

الأسرة المنسبة La Famille édequate: تمثل (52%) تتميز هذه الأسرة بأنها لا توجد لديها أية مشكلات اقتصادية، والأم ماكثة في البيت ومن خصائص هذه الأسرة بأن كل أفرادها يعشون معا وتسود بينهم علاقات جيدة أما الوالدين غير منحرفين بالإضافة إلى قوة الإشراف الوالدي وقلة العقاب.

الأسرة المتصارعة La Famille conflictuelle: تمثل (15%) وتتميز بشيوع الصراعات والخلاقات الزوجية بين الوالدين، واضطراب العلاقات بين أفرادها ويقل فيها الإشراف الوالدي ويكثر العقاب.

الأسرة الخرقاء La Famille mahhabile: تمثل (15%) ويتميز هذا النمط من الأسر بعدم تفرغ الوالدين اتجاه الأسرة، كما تتميز بعدم الاستقرار وكثرة التنقلات من مكان لآخر، أما العلاقة بين الوالدين المراهقين تتميز بالضعف وقلة الإشراف الوالدي وتعتبر الأم هي الكفيل للأسرة في معظم الأحيان.

الأسرة المنحرفة La Famille devinant: تمثل (15%) ويتميز هذا النمط من الأسر ببروز السلوكات المنحرفة، وانخفاض المستوى الاقتصادي، واضطراب العلاقة بين الوالدين والمراهق، ويتميز سلوك الوالدين بالانحراف وتعاطي المشروبات الكحولية.

الأسرة المعاقبة La Famille punitive: وتمثل (7%) تتميز بضعف وقلة الإشراف الوالدي مع استعمال العقاب بقوة، كما يظهر الارتباط ضعيف بين أفرادها مع بعضهم البعض مقارنة بالأسرة المناسبة. (M-Le Blanc, 2003, pp34-35).

الفصل الثالث
الجنــوح

تمهيد:

إن مشكلة الجنوح من أكبر المشاكل التي تواجهها المجتمعات المعاصرة ولا سيما جنوح الأحداث المراهقين ,و يعود ظهور هذه المشكلة لمجموعة من الأسباب النفسية و الاجتماعية و الوراثية , قد تم التعرض إليها خلال هذا الفصل.

مفهوم الجنوح:

ظهر مفهوم "جنوح الأحداث" في بادئ الأمر للإشارة إلى سلوكات الأحداث المهمشين الذين ينتمون إلى الطبقة الشعبية، ثم جمعت تحت عبارة جنوح مختلف أنواع السلوكات المحكوم عليها من قبل الراشدين على أنها لا تلائم الأحداث (كالعلاقات الجنسية، استعمال الكحول والمخدرات عصيان الوالدين والسلطة) إلى حد الجنح التي يعرّفها القانون الإجرامي بتدقيق (كالاغتيال والقتل، الاقتحام، السرقة باستعمال السلاح، سرقة سيارات....إلخ) مرورا بالسلوكات الممنوعة من طرف النظام والقانون الصادرة عن مرسوم خاص بالأحداث (كسياقة السيارات، التواجد في الخمارات واضطرابات سلوكية أخرى).(محمد سند عكايلة ،2006،ص54)

مفهوم الجنوح من منظور النفسي:

تعمل الدراسات النفسانية على مقاربة السلوك الجانح انطلاقا من البعد الذاتي للشخصية الجانحة غير مهتمة به كظاهرة اجتماعية أو جماعية مركزة على الحدث الجانح كفرد قائم بذاته، ساعية إلى اكتشاف مختلف الأسباب التي دفعت به إلى الجنوح فهي تهتم بالأسباب النفسانية في الأساس.

فالباحث هنا عندما يجد عوامل بيولوجية أو اجتماعية لا يربطها بشكل مباشر بالسلوك فهو يبحث عن آثارها النفسية على الحدث أولا ثم يحاول بعد ذلك استجلاء تأثير تلك العوامل.

إن هذه النظريات لا ترتكز على المؤثرات الخارجية ولكنها ترتكز أبحاثها حول فهم السلوك الجانح انطلاقا من الشخصية الجانحة وسنعمد فيما يأتي إلى استعراض بعض أهم تلك النظريات النفسانية وهي:

1. التحليل النفساني الفرويدي والسلوك الجانح:

سلط التحليل النفساني الضوء على دوافع السلوك الجانح لدى الأحداث، حيث ساعد في فهم تركيب شخصية العديد منهم. حيث يرى "فرويد Freud " أن الجانح يرتكب أفعاله المضادة للمجتمع بحثا عن العقاب ، حيث يكون مدفوعا بمشاعر الذنب الشديد الناتجة عن "أنا " ضعيف , و تعود نشأة هذا الأخير الى فشل عقدة أو ديب ومن خلال هذا الافتراض فالجانح الفاشل المكرر يبدو و كأنه انجذاب نحو السجن ، حيث يعطي انطباع كأنه ينحرف كي يعاقب.(حامد عبد السلام زهران،2005،ص256)

2. الجانح إنسان بدون أنا أعلى (نظرية ايكهورن):

ذهب ايكهورن (A. Aichorn) إلى تغيير سلوك الجانح من خلال قوله بغياب الأنا الأعلى لديه، وقد صاغ افتراضه بمساعدة سيغموند فرويد (Freud) وذلك بناءا على ما لاحظه لدى الجانحين من عنف الاندفاع وانعدام الضبط الذاتي، وانعدام مشاعر الذنب، وعدم الإحساس بالآخرين بسبب كل ذلك ذهب إلى الرأي بأنهم يفتقرون إلى الحس الخلقي افتقارا تاما ولذلك ينزلقون في تيار نزواتهم، وبما أن المسؤول عن هذه الوظائف هو الأنا الأعلى، فقد اعتقد ايكهورن بافتقارهم إليه أو ضعفه عندهم، ولذلك فهو عاجز عن أداء وظائف الخلقية ومن هنا انسياق الجانحين تحت سيطرة الهو مما يدفعهم إلى خرق القوانين الاجتماعية بشكل أناني.(مصطفى فهمي ،1988،ص 83)

إن الملاحظات الدقيقة لم تؤيد هذا الافتراض التفسيري، لأن الجانح لا يختلف اختلافا كبيرا عن الناس العاديين، لأن عنفه وأنانيته وخرقه للمعايير الخلقية ليست صفات عامة مميزة لحياته بشكل دائم ولأن ظهورها لا يتم إلا في بعض المناسبات، أما خارج هذه

المناسبات فإن الجانح يبدو ذا مقدرة جيدة على التعاطف مع الآخرين كما تعتريه مشاعر الندم ويكون قادرا على التمييز بين الخلقي واللاخلقي وبين الخطإ والصواب

وقد اتضح لسيغموند فرويد وبعض المحللين أو وراء قسوة الجانح وأنانيته ميولا دفينة لتحقير ذاته وتحطيمها، حيث لاحظوا أن بعض الجانحين المعتدين يكررون انحرافاتهم مما يجعلهم في تنقل مستمر بين حياة السجن والحياة الحرة. وقد أدت هذه الملاحظات إلى قلب الافتراض السابق إلى عكسه.

3. الجانح إنسان ذو أنا أعلى عنيف:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الجانح له أنا أعلى عنيف يدفع به باستمرار إلى مواقف تنتهي بعقابه والحط من قيمته الذاتية.

يلتقي حول هذا سيغموند فرويد وميلاني كلاين وأتباع كل منهما برغم الاختلاف في المنطلقات. (حامد عبدالسلام زهران ،2005،ص 275)

4. نظرية ردل (Rede):

ركز ردل جهوده على دراسة طريقة عمل الجهاز النفسي للجانح وبالخصوص عمل الأنا وخصائصه ونواحي القصور في الأنا الأعلى.

نكتفي بعرض خلاصة جهوده حول ثلاثة نواحي هي:

أ. نواحي القصور التكيفي للأنا الجانح:

من أهم الخصائص التي تجعل الأنا غير قادر على التكيف وعاجزا عن القيام بوظائفه ما يأتي:

* انعدام القدرة على تحمل الإحباط.
* العجز عن السيطرة على القلق والخشية وعدم الشعور بالأمن

* عدم القدرة على مقاومة الإغراء والذعر أمام الجديد.
* العدوى الجماعية: حيث تؤدي الإثارة إلى سلوكات جماعية ضارة.
* العجز عن ضبط حدود الماضي: أي تجنب مواجهتهم لخبراتهم الأليمة بادعاء عدم الحساسية والقيام بسلوك عدواني.
* كذلك الأنا أمام مشاعر الذنب: عجز عن تحمل المسؤولية والإحساس بالذنب والالتجاء إلى مجموعة من الميكانيزمات النفسية لتلاقي الإحساس بالذنب والتصرف بشكل عدواني أو هروبي أو اضطهادي.
* تلاشي الإحساس بالمسؤولية الشخصية في السلسلة السببية: يلقون بالمسؤولية على الآخرين في ما حدث عاجزين عن إدراك دورهم.
* الحرب ضد الوقت: انطلاق ضد الزمن الذاتي، عجز عن التخطيط ولو لمستقبل قريب والتصرف انطلاقا من اللحظة الراهنة فقط.
* التعلم من التجربة: عدم الاستفادة من تجارب الماضي ولذلك يتكرر نفس الخطأ مرارا.
* التعلم مما أصاب الآخرين: عجز عن الاعتبار مما وقع للآخرين وتوجيه سلوكاتهم على هذا الأساس.
* رد فعل للفشل: خشية الفشل تجعلهم يحجمون عن تجريب الوضعيات الجديدة.
* التعقل في تقدير إمكانيات الذات: من الصعب جدا اختيارهم لأفضل إمكانياتهم إلى جانب بخس إمكانياتهم أو المبالغة فيها.

كلما زاد عدد هذه الأوجه كلما كان الأنا عاجزا عن مجابهة تحديات الحياة بشكل سوي.

ب. الآليات الدفاعية للأنا الجانح:

تتمثل اتجاهات الآليات الدفاعية فيما يأتي:

* إستراتيجية تجنب الحساب الداخلي: يستخدم هذه الإستراتيجية ليتجنب مشاعر الإثم ويستمتع بجنوحه.
* البحث عن سند للانحراف: آلية دفاعية تزين الحياة الجانحة.
* مقاومة التغيير: تهدف هذه الآلية إلى إفشال محاولات الإقلاع عن الجنوح.

تتفاعل جوانب القصور التكيفي مع الآليات الدفاعية فيحدث تدعيم متبادل بينهما مما يؤدي إلى تضخيم آثارها السلبية على السلوك بحيث لا يبقى من مخرج بعد انسداد جميع الأبواب سوى الجنوح.

ج. اضطرابات الأنا الأعلى عند الجانح:

يؤكد ردل وجود الأنا الأعلى عند الجانحين مع اتصافه بخصائص نوعية وأهمها ما يأتي:

* التماهي بقانون جانح نابع من المحيط.
* جزيرة قيم الطفولة: ظهور بعض التصرفات الإيجابية (غير الجانحة).
* حساسية للقيم واحترام لها: يظهر في الوضعيات الغريبة حساسية للقيم واحترام لها دون تبنيها.
* عدم ملائمة وظيفة التنبيه: عجز عن تنبيه الأنا الأعلى إلى ما بعد الوقوع في الخطأ.
* قصور في آلية التماهي: بسبب عدم حضور صورة الأب والأم والأسرة بشكل كاف، أو عدم ثباتها في حضورها وفي نوعية الحضور وافتقارها للصورة الايجابية والشخصية العاطفية الكافية لتكوين نمط علاقات ايجابية يحدث قصور في التماهيات.

* تصلب الأنا الأعلى: يقوم الأنا بوظيفته في جانب مهملا ما عداه من الجوانب.

يؤكد ردل على النظر إلى اضطراب الأنا وآلياته الدفاعية واضطراب الأنا الأعلى من خلال تفاعلهما معا، فذلك كفيل بتكوين صورة عن خصائص وأسلوب الجانح في التعامل مع الآخرين.(عبدالرحمن محمد العيسوي،2004،ص145-148)

5. نظرية دانيال لاغاش (D. Lagache):

تناول لاغاش الجانح من ناحيتين:

* شخصية وخصائص والسلوك العدواني للجانح كسمة أساسية للجنوح.
* دراسة شخصية الجانح من خلال تسليط الضوء على اضطرابات التماهي والتنشئة الاجتماعية (socialisation).

إن اضطرابات التماهي تتخذ طابع الفشل في إقامة علاقات أولية ايجابية مع الأم في البداية، وبعد ذلك مع باقي أفراد الأسرة – إنه اضطراب يقف وراء معظم سمات شخصية المجرم الأنوية (Egocentrisme).

إن سمات شخصية المجرم ناتجة عن فشل في إقامة علاقات الايجابية وتلك الصفات يمكن اختصارها في نفي الآخر والقيم العامة، يطبع الجانح علاقاته بطابع العداء والصراع والاضطهاد والميل إلى التسلط متماهيا بشكل بطولي مع جماعة جانحة.

ويعتبر العدوان سمة أساسية وهو استجابة حركية للدخول في علاقة.

إن هذه العدوانية مرتبطة بالنرجسية، فهي علاقة سيطرة وخضوع، أي أنها علاقة سادو مازوشية، ومعظم الأفعال الجانحة ذات طابع سحري أي الشعور بالإثارة والجبروت الذي يجعل الجانح يحس بالتدمير كضرورة.(محمد سند عكايلة،2006،ص 130-131)

6. نظرية مايو (N. Mailloux):

ذهب إلى تصنيف المجرمين إبى فئتين:

* **فئة الجانحين المعادلين للعصابيين:**

يبدو سلوكهم مستقل نسبيا عن الأنا مدفوعين بدوافع لا إرادية يشعرون أن جنحهم ليست بفعل إرادتهم، تعرضوا إلى تجارب صدمية عديدة في مراحل أساسية من حياتهم، يتماهون بالصورة السلبية التي كونها عنهم الأهل ينبذون من الجماعات المتكيفة مما يجعلهم منغلقين على ذواتهم إزاء مجتمعهم الذي رفضهم، كلما حاولوا أن يتكيفوا يجدون نبذا من المحيط، فترسخ الصورة عن ذاتهم فينتمون إلى الجماعات الجانحة ليصلوا إلى حلول تعويضية مريحة، ويصبحوا ما لم يرغبوا أن يكونوه في يوم من الأيام جانحين.

* **فئة الجانحين المعادلين للذهانيين:**

الأنا عندهم يتبنى مباشرة الاتجاهات المعادية للمجتمع والتي تستقطب شخصيتهم بكليتها، تتعلق مباشرة بتثبيت السلوك في مرحلة نرجسية مبكرة مما يؤدي إلى عجز جذري عن إقامة علاقات موضوعية مع الآخرين، تحت آلية التماهي بالصورة السيئة بدون صراع، يشعرون أنهم ضحايا طغيان اجتماعي نتيجة ليأسهم المبالغ فيه ينخرطون في البيئات الجانحة لأنها توفر لهم القيمة والاعتبار راغبين في احتلال مكانة قيادية "وباختصار يتجنب الجانح مشكلة انعدام الهوية الاجتماعية من خلال الانتماء إلى عالم اجتماعي جانح".(موفق هاشم صفر الحلبي ،2000،ص 435)

مفهوم جنوح الأحداث من نظر القانون :

هناك فريقان من رجال القانون اللذان عرضا لتعريف الجنوح:

-الفريق الأول: المحافظون أتباع المذهب الجنائي القديم و يعرفونه أنه نوع من الإجرام و خروج على القانون ,يستوجب المسؤولية و العقاب , وهم يتهمون بالجريمة و يرون الحدث الصغير مثل المجرم الخطير.

-الفريق الثاني: هم المجددون أنصار الفكر الحديث, يعرفه " بول تايان – Poll Tayen " من الناحية القانونية بأنه أي فعل أو نوع من السلوك أو موقف يمكن أن يعرض أمره على المحكمة أو يصدر فيه حكم.(حسين علي الغول،2001،ص126)

"فالقانون يحصر الجنوح في حدود معينة , و يحيطه بسياج من الشكليات و الإجراءات لا قيمة لها جميعها من الوجهة النفسية.و طبقا لقانون الإجراءات الجنائية الجزائرية لسنة 1966 اعتبر الحدث الجانح هو الشخص الذي تحت سن 18 سنة و يرتكب فعلا لو ارتكبه شخص كبير اعتبر جريمة " .

ب- مفهوم الجنوح من وجهة نظرعلماء الاجتماع :

عرف علماء الاجتماع الجناح بأنه سلوك لا اجتماعي أو ضار بالمجتمع , بحيث يكون مفهوم الجنوح يمتد ليشمل جميع ضروب السلوك المختلفة.

و يعرفه "بيرت Berth" بأنه يحدث للطفل عندما تصل ميوله الاجتماعية الى درجة الخطورة بحيث يصبح أو يجب أن يصبح موضع ايجاد اجراء رسمي في شأنه.

و يعرفه "كنارد Kenader" على أنه السلوك الذي يجلب السخط الاجتماعي من لدى أفراد المجتمع لتحدي العرف و التقاليد الاجتماعية.

أنواع الجنوح :

ان الجنوح و الصفات الشاذة والسلوك السيئ , كالكذب و السرقة و التهرب من أداء الواجب و القسوة و الجبن و الغرور و العجرفة و الغيرة و التفاهة و الاعتداء على الأمن و على الممتلكات العامة و الخاصة كلها صفات شائعة في المراهقة , و ترجع هذه الظاهرة السلوكية عند المراهق الى مجموعة من الأسباب تتعلق بالفرد نفسه وهي كثيرة منها , الفقر و التذليل المفرط , أو قسوة المعاملة كما سبق ذكرها , ويمكن تصنيف هذه الأنواع من الجنوح في عدة أنماط تتمثل فيما يلي :

أ-جنوح معتدل : هو نوع غير خطر كأن يأخذ الولد القلم من زميله لمجرد مضايقته , أو أن يقطع المراهق أشجار الزينة ليلعب بها , وهذا خاطئ من الناحية الاجتماعية , لكن هؤلاء الجانحون ليسو ذو طبيعة شريرة.

أما الأطفال الذين يلعبون بالشارع مخالفين بذلك القانون , فهم ليسو أطفال سيئين , فالأطفال كثيرا ما يخطئون في أشياء لا يعرفون أنها خاطئة , فإذا ما عمالناهم بقسوة فسنحولهم الى المجرمين.

ب-الشذوذ المزاجي :وهي حالات ذات منشأ فيزيولوجي كالنقص العقلي , فالجانح الذي يتميز بالنقص العقلي لا يفرق بسهولة بين الصحيح و الخطأ , و يقوم بأفعال قبيحة دون أدنى احساس بالخجل , فقد تسرق البنت و هي في دورة الطمث, و المراهقة أثناء الحيض قد تصبح محبة للخصام , غير مستقرة , و غير محتملة الى جانب الانسان الذي يعاني من انخفاض في نسبة السكر في الدم , أو مصاب بالصرع الخفيف , و قد يصبح فجأة عنيفا و يرتكب جرائم.(محمد جميل ،1980،ص212)

ولقد وجد كثير من الجانحين لهم موجات مخ غير عادية , كما أن الأطفال المجهودون ,و الذين لم يحصلوا على قسط كاف من النوم , أو الغداء فيكونون في حالة ميزاجية سيئة و نقص في القدرات على ضغط الذات , و في هذه الحالة من الميزاج السيء قد يرتكب بعض الانحرافات , و علاج جميع هذه الحالات يرتبط بعلاج الحالات الفيزيولوجية.

ج- الجنوح البسيط : قد يسرق الطفل لنقص لديه في المعايير الخلقية , فاذا لم يكن خضع للتهذيب , أو تعلم قول الصدق , أو لو كان أبوه غير أمين أو الأم شرسة أو المنزل منهار ,فمن الطبيعي أن يكذب الطفل و أن يسرق و أن يكون شرسا, و مثل هؤلاء لا يحتاجون الى تغيير شخصيتهم ولا يختص الأخصائي النفسي في العيادات بمثل هؤلاء الأفراد لأنهم ليسوا مرضى في نظر المدرس و الاجتماعي و رجل الدين و القاضي , رغم أنه من المهم عرضهم على الأخصائي لتحديد اذا ما كانت الاضطرابات متعلقة بالنواحي الفيزيولوجية أو بعقد نفسية , ويحتاج مثل هؤلاء لمعايير خلقية جديدة ومنزل جديد يمكنه من خلالها اكتساب خبرة جديدة في الحياة ,و أما في الحالات المتطرفة قد يستخدم العقاب عندما تفشل كل الطرق الأخرى في تحويلهم عن طريق الانحراف .(نفس المرجع ،ص 213)

د-الجنوح الاستجابي : يعتبرأهم الأنواع لأنه قليلا ما يفهمه الكبار و بالتالي الكثير يخطئ في مواجهتهم ,و الخطأ في التعامل مع هذا النوع يؤدي الى زيادة الحالة سوءا , و كثيرا ما يخلط الاباء بين هذا النوع و باقي الأنواع البسيطة الاخرى, و من أمثلته , شعور طفل الثالثة بالوحدة و فقدان الحب عند وصول طفل جديد له فندفعه , فيعاقب و يعزل في غرفة أخرى و قد يعود ثانية و يصبح ولدا طيبا , وقد يغير كل اتجاهاته و يقول للكبار أنه لا يريد حبا من أحد , و يمكنني العيش من دونكم , و يصبح منحرفا غير متعاون فيملك السلوك المضاد للمجتمع محدثا الكثير من الازعاج , و يصبح ثقيل الظل.

كل هذه الأنواع من السلوك ما هي الا استجابة أورد فعل لصد الطفل عندما يسعى وراء الحب , فيتخذ السلوك اتجاها عكسيا , و المعروف أن العقاب الذي يستخدم في مثل هذة الأحوال لا يؤدي الى نتائج طيبة بل يزيد من الأمر سوءا , و يزيد من شعوره بالظلم الواقع عليه , و ينتمي كثير من الشباب الذي يعد قابلا للاصلاح الى هذا النوع.

و علاج مثل هذه الحالات أن نشجع حاجاتهم الى الحب لا أن ننظر الى سلوكهم الظاهري المنحرف الناتج عن الحرمان من الحب , فقد يبدو الطفل من الناحية الظاهرية

مغرورا أو متعجرفا أو مختلا نفسيا , لأنه في أعماقه يشعر بالنقص, و يؤدي زجره الى أن تزداد سوءا.

نظريات الجنوح :

-النظريات الاجتماعية:

قام " جورنج Jeornge" بنقد نظرية " لومبروزو Limbrozo" وكانت الفكرة الرئيسية في المدرسة الاجتماعية هي أن السلوك الاجرامي نتاج لنفس العمليات التي تخضع لها كافة الصور الاخرى للسلوك الاجتماعي .ولتحليل هذه العمليات ومالها من علاقة بالاجرام فقد اتخذ ذلك بعدين أساسيين:

-البعد الأول : يهتم بدراسة ما يوجد من علاقة وارتباط بين معدلات الجريمة و بين الظروف الاجتماعية للمجتمع ,ومن مظاهر ذلك عمليات الصراع الثقافي و الطبقات الاجتماعية المنافسة ,وهنا اعتمد الاجتماعيون على احصاءات الجريمة و عرفت نظرياتهم بنظرية البنية الاجتماعية.

-البعد الثاني : يدرس الكيفية التي يصبح الاشخاص من خلالها مجرمين ,و يعتمد هنا بصفة أساسية على النظريات العامة للتعلم الاجتماعي وعلم النفس الاجتماعي ,وما تتضمنه من مفهومات مثل: التقليد , الاتجاهات و القيم ,التعويض , الاحباط و العدوان .و النظريات التي تبنت هذا عرفت بالنظريات العملية الاجتماعية.

ان النظريات الاجتماعية تؤكد على أن ارتكاب الجريمة يرجع الى وجود عوامل خارجية ,عن الفرد تظهر في البيئة الاجتماعية أو في البنية الاجتماعية , ويرى أنصار المدرسة الاجتماعية أن الدوافع و الظروف التي تدفع الانسان الى ارتكاب الجريمة كامنة في البيئة الاجتماعية والثقافية أي العوامل البيئية (عبد الرحمن محمد العسيوي ،2004،ص455)

-النظريات البيولوجية:

ان هذه المذاهب تحاول تفسير الجريمة والانحراف ونذكر منها:

-النظريات اللومبروزية : "لومبروزو lombrozo" (استاذ للطب النفسي و علم الأنتروبولوجيا بجامعة تورين لمدة ثلاثين عاما وتعرف نظرياتهبالنظريات التكوينية التقليدية): عندما كان الطبيب في الجيش الايطالي وجد وشم على أجسام المشاغبين الاشرار,بالمقارنة بالجنود الأمناء الممتازين وهنا فكر بأن يدرس خصائص المرضى البدنية الفيزقية و بعد ذلك المجرمين ,وقام بترشيح حوالي 383 جمجمة لمجرمين بعد موتهم , و قام بتسجيل النسبة المئوية لحدوث الحالات الشاذة فيما يتصل بالشذوذ في تركيب الأسنان وسعة الجمجمة و شكل الجبهة وغير ذلك مما كشف عنه من سمات جسدية ,التواء الأنف ,امتلاء الشفتين و ضخامتهم ,الكبر الزائد للأذنين.

طول زائد للذراعين ,وجود أصابع زائد للذراعين ,وجود أصابع زايدة في اليد و القدمين ,وقد قارن بين جماجم المتوحشين و جماجم ما قبل التاريخ ,ووجد بأن هناك مجرم بالميلاد ,وهو نمط بدني يمكن تفسيره كعودة للظهور في الأزمنة الحديثة لخصائص يتصف بها الانسان البدائي.(محمد سند العكايلة ،2006،ص121-122)

حاول "لومبروزو lombrozo" في طباعته اللاحقة لكتابه " الانسان المجرم"أن يعدل فكرة العودة الى الحيوان البدائي معترفا بتأثيراته البيئية حتى على المجرم بالميلاد ,وأضاف فئات جديدة من المجرد على النحو التالي:

أ-المجرم المجنون: هو من يرتكب جريمة تحت تأثير المرض العقلي .

ب-المجرم المصاب بالصرع: ينجم عنه وقف نمو بعض الوظائف النفسية و العقلية قد تتطور حالته العقلية بسبب استعداد خاص للاضطرابات العقلية و يتحول الى مجرم مجنون .

ج-المجرم السيكوباتي : هو من لا يتكيف مع المجتمع مما قد يكون سببا في انزلاقه الى الجريمة و عرف كذلك بالجنون الخلقي.

د-المجرم بالعادة : هو من تعزز الظروف البيئية النزعة الى ارتكاب الجريمة.

ه-المجرم بالعاطفة :هو من لديه حساسية مفرطة لا يمكن مقاومتها و بالتالي تدفعه الى ارتكاب الجريمة.

و-المجرم بالصدفة : هو من يرتكب الجريمة بسبب مؤثرات خارجية طارئة و يندرج تحت الفئة المجرمة ذو الاتجاه المختلط.(نفس المرجع ،ص 123)

سمات الشخصية الجانحة :

ان مفهوم الشخصية الجانحة او الاجرامية يبقى من اهم الدراسات التي أقيمت في علم الاجرام ، بحيث توصلت الدراسات النفسية و الاجتماعية و البيولوجية والثقافية التي درست الجنوح بأن للجانح شخصية لها طبعها و مزاجها و طريقة خاصة يتعامل بها الجانح مع الاخرين .

و من خلال دراسة الشخصية الجانحة يمكن تحديد سمات التي ان توافرت تقول اننا امام مجرم و ينطلق الاتجاه النفسي من فرضية ان كل الناس مهيئون ان يصبحون مجرمين الا ان ليس كلهم يصبحون كذلك.

و يعتبر جان بيناتل "Jean Pinatel" من الاوائل الذين حددوا سمات الشخصية الجانحة او الاجرامية و التي حددها في أربعة عناصر متفاعلة فيما بينها و التي أسمها النواة المركزية للشخصية الاجرامية و هي كالتالي :

-الانحصار في الذات égocentrisme :

يتخطى صاحب الشخصية الجانحة العار الاجتماعي و الذي يعتبر العقبة الاولى في ارتكاب الجريمة بسبب انحصاره في ذاته ، فهو يتصرف بما يمليه عليه تفكيره بغض النظر عن موقف المجتمع .

-سرعة الانسياق labilité :

ان صاحب هذه الشخصية يتعدى انذار القانون بالعقاب بفعل ما لديه من سرعة الانسياق و من هذا التخطي ينتج لديه اقرار حاسم للفكرة الاجرامية .

-العدوانية :

ان تنفيذ الفكرة الاجرامية يتطلب مجهود اللازم لتنفيذها و عدوانية حتى يعتدي .

أما كرافت "Crafft" فقد وضع عنصريين لتحديد سمات الشخصية الجانحة و هما :

-التبلد الوجداني :وهو نقص المشاعر و العطف و الحب نحو الاخرين .

-الاندفاع في السلوك.

حيث يرى ان العدوان ناتج عن هذين العنصريين .(محمد جميل ،1980،ص214)

أما كليكي "Cleckley" 1976 حدد سمات شخصية الجانحة في النقاط التالية :

-ذكاء متوسط او مرتفع .

-عدم المسؤولية .

- عدم الشعور بالذنب .

-عدم القدرة على الحكم .

-الفشل في التعلم من الخبرة .

- عجز عن الحب و اقامة العلاقات .

- الكذب و الشعور بالراحة في المواقف التي تقلق الشخص العادي .

كما عرف عادل عبدالله محمد "2000" شخصية الجانح بأنها تتسم بالسمات التالية :

-عدم الانتثال للقوانين و الاعراف و التقاليد و عدم التمسك بمبادئ الاخلاق .

- العنف و اللامبالاة .

- عدم مراعاة حقوق الاخرين .

- العدوانية مع تقديم مبررات للسلوك .

- عدم القدرة على تحمل الاحباط .

- عدم الاستفادة من الخبرة و التجربة .

- عدم الشعور بالذنب.

- الادمان.

-الشذوذ الجنسي .

اما الدليل التصنيفي الأمريكي الرابع للأمراض العقلية "DSM4" فإنه يعرف الشخصية الجانحة بأنها شخصية مضادة للمجتمع و يشخصها كالتالي :

-هي حالة عامة من الكراهية و الاعتداء على حق الاخرين و يظهر ذلك مع العمر 15 سنة .

- عدم القدرة على مسايرة المعايير الاجتماعية التي تضبط السلوك .

-الاتجاه نحو مغالطة الاخرين من اجل مصلحة الشخصية.

-عدم القدرة لتخطيط الذاتي .

- حساسية و عدوانية تظهر في المشاجرات و الاعتداءات على الاخرين .

- غياب تانيب الضمير .

- انتهاك للمعايير و القيم .(حامد عبد السلام زهران ،2005،ص 270)

العوامل المؤدية للجنوح :

ان نمو الشخصية الجانحة عملية معقدة تتاثر بعدد كبير من العوامل المتداخلة فيما بينها و نذكر منها :

العوامل البيولوجية :

ان انصار النظرية البيولوجية يرون في تفسير السلوك الجانح ان العامل البيولوجي يعد اساسيا في تشكيل الشخصية و تحديد السلوك و يقصد بالعوامل البيولوجية مجموعة من الصفات الخلقية و الوارثية المتعلقة بشكل الاعضاء ووظائفها فهي عوامل متصلة بالفرد و يعتبر انصار هذا الاتجاه ا ناي اختلال في بعض هذه الاعضاء او تشوهها يؤدي الى تكوين عضوي معيب له اثره على تكوين شخصية الجانح و من بين هذه العوامل مايلي :

-الوراثة :

تعتبر من العوامل المهمة في تكوين الشخصية حيث تحدد بشكل واضح معالم الشخصية ، فعلماء النفس يرون ان اختلاف الافراد في شخصياتهم يعود الى الارث العصبي و الذكاء الموروث ، وقد اثبتت الدراسات ان للوارثة اثر كبير على السلوك الاجرامي .

ان لمبروزو "Lombroso" من الاوائل الذين تبنوا فكرة توارث الجريمة و لقد قدم فكرة الارتداد الوراثي كأساس نظري لتفسير انتقال الجريمة بالوارثة .

و من بين الدراسات المهمة التي اقيمت في هذا الصدد دراسة ريتشارد دوجيل "Dugdale" و الذي درس شجرة عائلة جوك و لقد اقام الباحث دراسة تعقيبية لهذه العائلة

و مما شد انتباهه هو ان ماكس جوك كان مدمن خمر و امراته سارقة رزق ب 709طفلا و حفيدا بينهم 77 من المجرمين و 292 من محترفي الدعارة و 142 متشردا و عدد من المصابين بالامراض العقلية و التخلف العقلي .(حسين علي الغول ،2001،ص 200)

-اثر الخصائص التكوينية للجسم :

يعتقد لمبروزو "Lombroso" بان المجرم يمكن التعرف عليه منذ صغره بخصائص جسمية معينة ، حيث تكون الأذن كبيرة او صغيرة بشكل واضح او الفرطحة و الانعكاف غير عاديين ، او يكون لديه اختلاف في تكوين الاذن اليمنى عن اليسرى و ان يكون الوجه لديه غير متناسق ، بروز الجبهة او مقعدة و الحواجب بارزة و كثيفة الشعر ، الفك السفلي متقدم الى الامام .

و لم تثبت الادلة العلمية ، و الاحصائيات وجهة نظر "Lombrozo" و مع ذلك يعتقد المؤيدون لأرائه بأن الأطفال الذين يلاحظ فيهم تلك الخصائص الجسمية يجب ان يحصلوا على رعاية أفضل ، و توجيه أكبر من أجل وقايتهم من الإنحراف .

2)- العوامل النفسية :

درس الباحثون عددا كبيرا من العوامل النفسية المتعلقة بجنوح الأحداث ، بحيث ربط الذين ينتمون لمدارس التحليل النفسي بين الجنوح و الحرمان العاطفي في السنوات الأولى من عمر الطفل و منهم من ركز على العلاقة بين الوالدين و الطفل و مراحل النمو و الصدمات النفسية و منهم من اهتم بالغرائز غريزة الجنس و العدوان و من بين العوامل التي تؤثر في تكوين الشخصية الجانحة هي :

الحرمان العاطفي :

تعد مرحلة الطفولة الحجر الاساسي في بناء شخصية الفرد واكتمال نضجه النفسي و العقلي و الوجداني الاجتماعي فإن السنوات الست الأولى هي الأساس التكويني لذي يحدد السمات الرئيسية للشخصية حيث من المؤكد ان الطفل الذي عانى من الإحباط الشديد او

الحرمان العاطفي في طفولته يتكون لديه نوع من العدوانية .(موفق هاشم صفر الحلبي ،200،ص 356)

فقد أعطت ميلاني كلاين "Mélanie Klein" اهمية كبيرة للعلاقة بين الطفل و الأم في مرحلة الطفولة بحيث تلعب دورا أساسيا في بناء الشخصية العاطفية و الإجتماعية و الصحة العقلية للفرد ، كما أنها ترى ان النمو لا يمكن أن يحدث بطريقة سليمة اذ لم يتجاوز صورة الأم مع الأنا في أمان .

و يعتبر سبيتز "Spitz" ان أي اضطراب في العلاقة بين الأم و الطفل في هذه المرحلة يؤدي الى تسميم النفسي و العجز الانفعالي .

و يؤكد فينيكوت "Winnicott" على العلاقة بين الأم و الطفل في هذه المرحلة و يعطيها أهمية كبيرة و بأن دورها أساسي ، لهذا يجب على الأم ان تكون طيبة بشكل كافي حتى لا تسبب للطفل بصعوبات.

كما يشير بولبي " Bowlby" الى التعلق على انه حاجة أساسية للاتصال فلقد لاحظ أن الأطفال الذين ينشئون في مؤسسات الرعاية تظهر لديهم مشكلات وجدانية متنوعة بما فيها عدم القدرة على تكوين الصداقات ز الحب لإفتقادهم فرصة تكوين تعلق قوي مع صورة الأم .(صالح محمد علي ابو جادو ،2007،ص 266)

كما العلاقة الوالدية بالأبناء لها أهمية حيث أوضح الباحث محمد علي في دراسة قام بها تهدف الى معرفة علاقة الوالدين بالطفل و أثرها في الجنوح و سمات الشخصية فتوصل الى ان هناك فروق بين الجانحين و غير الجانحين فيما يتعلق بطفولتهم و تنشئتهم الإجتماعية اذ تبدو اكثر احباطا و قسوة ، ومن أبرز مواقف الاحباط التي عاشوها هي الحرمان العاطفي ، النبذ ، الإهمال و القسوة و ان الجانحون اكثر شعورا بالنقص من غير الجانحين و اكثر شعورا بالقلق و اكثر سوءا في تكيفهم الإجتماعي من غير الجانحين .

-الغرائز :

تلعب الغرائز دورا رئيسيا في تكوين شخصية الجانح فلقد أكدت بعض الدراسات خصوصا تلك التي قامت بها مدرس التحليل النفسي يرى زعيمها فرويد "Freud" أن الغرائز و التي حددها في غريزيتي الجنس و العدوان انهما مصدر الطاقة الديناميكية في الحياة النفسية للفرد .

و الغرائز ذات طبيعة نفسية بيولوجية تدفع الإنسان الى أن يسلك سلوك معين تبعا لمثيرات معينة و هدفها هو فقط حياة الفرد و استمرار بقائه و أي شذوذ يصيب احدى هذه الغرائز قد يدفع بالفرد الى ارتكاب الجريمة .(عبد الرحمن العسيوي،2009،ص 52)

العوامل الاجتماعية :

تندرج العوامل المؤدية إلى تكوين شخصية الجانح ضمن فئتين الأولى و تتكون من العوامل التي تتصل بذات الجانح و تكوينه العضوي و العقلي و النفسي و التي تسمى بالعوامل الداخلية.

و الفئة الثانية تتكون من الظروف البيئية الاجتماعية العامة و تسمى العوامل الخارجية و من أبرز هذه العوامل التي تساهم في تكوين شخصية الجانح هي:

الأسرة: تمثل الأسرة وحدة اجتماعية و لها أهمية كبيرة في تنشئة و تربية الأطفال منذ ولادتهم فعن طريقها يشبع الطفل حاجاته الطبيعية و الاجتماعية و النفسية خاصة الحاجة للأمن و الحماية و الرعاية و العطف ووجود الطفل في أسرة غير ملائمة يساعد على نمو شخصيته منحرفة كما أكدت دراسات في علم النفس و علم الاجتماع و علم الإجرام .

فلأسرة تعتبر عاملا رئيسيا في تكوين شخصية الجانح فهي العامل المشترك الذي يقف عنده كل باحث في طبيعة الجنوح و من بين أهم العوامل الأسريةُ التي تساعد على تكوين شخصية الجانح هي كالتالي:التفكك الأسري و نقصد به انفصام الروابط الأسرية التي قد تنتج من الطلاق أو الهجر أو وفاة الوالدين أو أحدهما أو صراع أو عدم التوافق بين الزوجين أو أفراد العائلة.

البيئة العائلية الجانحة:إذا وجد طفل في بيئة عائلية جانحة يشبع فيها السلوك الجانح و عدم احترام النظام و القانون فانه لا يجد ما يعصمه من تقليد ما يحيط به من أنماط سلوكية جانحة لا سيما أنها تأتي من أشخاص على درجة كبيرة من الصلة و القرابة مثل الوالدين فلقد بينت دراسة جلوك التي أقيمت عام 1950 أن 67% من الأحداث قد تمت تربيتهم في عائلات كان معظمهم مجرمين .

أساليب التنشئة الاجتماعية للأسرة :

إن أساليب التنشئة الخاطئة يعتبر الحجر الأساسي في تكوين الشخصية الجانحةوأكدت دراسات وجود علاقة بين التربية الخاطئة و السلوك الإجرامي .

و من بين هذه الأساليب:

أسلوب الإهمال:يشير أسلوب الإهمال إلى عدم الرعاية و التوجيه و عدم الاهتمام بتشجيع الأطفال على السلوك الحسن أو معاقبته على السلوك السيئ وغالبا ما يكون الآباء الذين يمارسون هذا الأسلوب في التنشئة لا يوجد لديهم ما يقدموه لأبنائهم،كما لا يوجد لديهم قواعد واضحة لتربية الأبناء و من مظاهر الإهمال عدم الاستماع لإشغالات الطفل و عدم السؤال عنه في حالة الغياب عن البيت و عدم ضبط و توجيهه إذا قام بسلوكيات مرفوضة اجتماعيا أو أخلاقيا أضف لذلك عدم اهتمام الوالدين بأحواله الصحية و عدم التقرب منه و من ما يعانيه من أزمات التي تحتاج لمساعدة الوالدين في حلها،إن الإهمال المتكرر للطفل له انعكاسات خطيرة تكون مضادة للأسرة و المجتمع.

أسلوب القسوة:يعتبر أسلوب القسوة من الأساليب الخاطئة التي قد تتبعها الأسرة في تربية طفلها و من بين أهم مظاهره استخدام العقاب البدني أي الضرب و التهديد و كل ما يؤدي إلى إشارة الألم الجسمي كأسلوب أساسي في التربية و يعتبر الضرب من أقسى أنواع العقاب التي يتعرض لها الطفل و المراهق.

ويتمثل العقاب في نوعين العقاب البدني و العقاب النفسي و في بعض الأحيان يجمع الآباء بين النوعين و إن العقاب و القسوة يؤدي بالطفل إلى الهروب الدائم من الجو الأسري القاسي باحثا عن مأوى يجد فيه الأمن و الراحة كجماعة الأصدقاء و التي قد تقوده في أغلب الأحيان إلى طريق الانحراف و الجنوح.

علاج والوقاية من الجنوح:

إن الوقاية هي كل الطرق التي يمكن انتهاجها لتقليل أو التخفيف من ظاهرة الجنوح وهي تعتمد على عدة أبعاد منها النفسية والاجتماعية والأسرية وحتى قانونية تهدف للوقاية والسيطرة على هذه الظاهرة من عدة جوانب منها الجانب الفردي والأسري والاجتماعي وحتى السياسي القانوني ونذكر كالتالي:

الجانب الفردي:

وهنا نقصد به الجانب النفسي الذي يخص جانحة ويتمثل في:

– معرفة أسباب كامنة وراء جنوح الحدث.
– تحديد سمات شخصية هذه الجانحة وميولاتها لمعرفة الطريقة المثلى للتعامل معها.
– تقديم الرعاية النفسية لها من خلال إفساح لها المجال للتعبير عن نفسها.
– حيث في كثير من حالات جنوح تكون لجلب الانتباه.
– محاولة تصحيح السلوك الجانح وتعديل مفهوم الذات عن طريق العلاج النفسي المركز حول العميل، مع الاهتمام بعلاج الشخصية والسمات المرتبطة بالجناح، وحل الصراعات، ومقابلة عوامل الإحباط وإزالة مصادر الضغط والتوتر الانفعالي ومحاولة التغلب على الدافع العدوان، واتساع الحاجات النفسية غير المتسعة وخاصة الحاجة إلى الأمن، وإبدال السلوك العدواني بسلوك بناء، والعلاج الديني والعلاج بالعمل.(مريم سليم ،2007،ص114)

الجانب الأسري:

وهنا نقصد به النسق الأسري الذي تعيش فيه المراهقة حيث أن للأسرة أهمية كبيرة في تكوين شخصية وسلوكات المراهقة الجانحة لدى يجب الاهتمام بتوعية وإرشاد الأسرة بخصوص أصل التنشئة الاجتماعية وأساليب التربية بما يوافق أولادهم ونبذ العنف والتعامل بطريقة المناسبة مع الجانحة وكذا تجنب التفرقة في المعاملة بين الأبناء، وتعزيز سبل التواصل بين الوالدين والأبناء من خلال الحوار والتفاهم والإصغاء لمطالب الأولاد دون التعنيف وتقليل من ذوات أولادهم.(نفس المرجع 114)

الجانب الاجتماعي:

وهنا نقصد به الأوضاع الاجتماعية المحيطة بالجانحة وطبيعة البيئة المحيطة ومدى تأثير هذه البيئة على الجانحات مثل الأسرة والجماعة الأصدقاء والأقارب كما تأخذ الأحوال المعيشية بعين الاعتبار كالفقر ونقص المداخل الأسرة مما يحرم أفراد العائلة من تلبية طلباتهم لدى يجب تقديم خدمات اجتماعية وصحية للجانحة في الأسرة والمدرسة أو المؤسسة.

مساعدة الأفراد الأسرة بإتاحة فرص العمل توفير سكن ملائم، توفير أماكن ترفيه المناسبة والرياضة والنشاط الاجتماعي، استخدام كافة إمكانات التربية والخدمة الاجتماعية الموجودة في المجتمع وإعادة تطبيع وتعديل الدوافع والاتجاهات في ضوء دراسات وخطط علاجية مدروسة والعمل مع الجانحات على أساس فهم والرعاية بهدف الإصلاح وليس العقاب.(حامد عبد السلام زهران ،2005،ص 435)

الجانب القانوني:

إن الجانح القانوني مهم في الوقاية من الجنوح من خلال وضع قوانين تكون واضحة وتحمي المراهقة الجانحة حتى في ظل العقوبة فالعقوبة هنا تهدف من خلالها الحد من ظاهرة الجنوح.

توفير مراكز خاصة تواجه الانحراف والجنوح من طرف مختصين بالتعاون مع البيت والمدرسة

تطبيق قانون والإشراف والرقابة على الأماكن التي يحتمل أن يتجمع فيها الجانحين والجانحات.

معاملة بطريقة إنسانية وبالعدل مع كل الفئات ومعرفة طريقة تعامل مع هذا النوع من الأشخاص الذين هم في الغالب ضحية لسوء تربية حالة المعيشية.

الفصل الرابع

منهجية الدراسة

تمهيد:

بعد عرض الجانب النظري للدراسة سنتناول في هذا الفصل منهجية الدراسة وإجراءاتها بحيث كل دراسة علمية يقوم فيها الباحث بعلاج الموضوع المقترح بمنهجيته صحيحة ومرتبطة بمتغيرات الدراسة وبالفرضيات التي نحاول تحقق منها فالجانب التطبيقي يساعدنا على التعرف على عينة الدراسة وكذا مختلف الأدوات التي سنطبقها على عينة الدراسة.

1. منهج الدراسة:

تهتم الدراسة الحالية بدراسة النسق الأسري للمراهقة الجانحة والتي نحاول من خلالها فهم طبيعة النسق الأسري الذي عاشت فيه الفتاة ومدى علاقة الاضطرابات الموجودة داخل النسق بانحرافها وعلى هذا الأساس ارتكزت الدراسة على المنهج العيادي، وهو المنهج الأنسب لتحليل وتفسير سلوكات الأفراد، حيث اعتمدت على قصة الحياة وعلى هذا الأساس اختيرت قصة الحياة (Récit de vie) كمنهج للدراسة أين يمكن تحليل وتتبع مسار حياته، من خلال العودة إلى المراحل السابقة من عمره كما تتضمن توقعات، كما سيعود نحو الماضي على ضوء الحاضر، وأيضا القدرة على إسقاط الذات نحو المستقبل والحديث عن المشاريع، فالشخص تنكشف هويته على أهم الأحداث التي مرّ بها عندما نسمح له بسرد تاريخ حياته.

ظهرت قصة الحياة في العلوم الاجتماعية مع القرن 20، إلا أن أصوله ترجع إلى الخطاب الديني مع وجود الإنسان أين تجرد وأسس أعمدة الفكر الفلسفي خصوصا بألمانيا.

بالإضافة إلى مؤسسي مدرسة Chicago أمثال Weber أين لعبت قصة الحياة دورا ضخما مع الملاحظة بالمشاركة. ثم مع ظهور البحوث الكمية في علم الاجتماع مع Stouffer عام 1940 عن طريق استخدام سبر آراء والمقابلات، تراجع استخدام منهج قصة الحياة. لكن مع 1960 ظهر استخدامها من جديد ولكن بصفة محتشمة ومهمشة مع بعض الباحثين أمثال Lewis أو Mills في الولايات المتحدة الأمريكية، Ferrarotti بالنسبة لإيطاليا ومع 1970 – 1980 مع Bertaux أو Catni بالنسبة لفرنسا، شيئا

فشيئا، وعن طريق قناة علم الاجتماع هذه والأنتروبولوجيا بدأ انتشارها وتوسعها في عديد من الشعب: علوم التربية أين تلقى Pineau مع Bertaux ووجدا قصة الحياة كمقاربة للاستغلال مع بداية 1980، علم الاجتماع العيادي، ثم مع De Gaulejac الذي اهتم بتمفصل علم النفس بعلم الاجتماع من خلال دراساته على العصاب الفئة والخزي ثم أساليب النمو الشخصي، ثم تعممت ونالت اهتمام المختصين والمحللين النفسانيين.

كان التعبير المخصص لهذه الوسيلة قبلا هو "تاريخ الحياة" وهي ترجمة حرفية للتعبير الأمريكي "Life History" إن الترجمة الفرنسية كانت واسعة لأنها لم تسمح بالتمييز بين التاريخ المعاش من قبل الشخص والقصة التي يمكنه سردها بناء على طلب باحث وفي وقت معين من حياته، قصة الحياة لا تشمل إجباريا كل تاريخ الحياة للفاعل (Sujet). في الواقع يمكن تحديد ذلك بسرد أحداث من حياته، جزءا منها فقط، كاشفا عن أمور داخلية لديه، علاقاته مع الآخرين، وأفعاله داخل نسق اجتماعي خاص.

يمكن تعريف قصة الحياة على أنها: "شكل خاص من المقابلة – مقابلة سردية – التي من خلالها الباحث يطلب من شخص ما بأن يروي (على شكل قصة) حياته أو جزءا من حياته". ويعرفها Bertaux: "هناك قصة حياة منذ وجود وصف على شكل سردي لجزء من تجربة معاشة". ويضيف قائلا: "تعطى قصة الحياة وصولا إلى الذاتية والمجموع الذي تكونه تجربة حياة، فقصة الحياة تعطينا مجموعا معبرا، ليس فقط عن الداخل ولكن عن الكل"(لزرق سجيدة 2013،ص124-125)

أما بالنسبة ل Chabrol هي: " تقنية مقابلة تقريبا موجهة التي تتميز من خلال خاصيتها المتوسعة. مسار المقابلة يكون نادرا واضحا، غالبا شبكة أحداث تترك أثرا على الفاعل (Sujet)، على معيشته، المدلولات التي يعطيها".

وحسب Trognon: " قصة الحياة، مثل كل مقابلة هي نتاج تفاعل خطابي بين فاعلين (Sujets) يتعلق بشبكة رمزية، خيالية وواقعية معقدة، لغوية وخارج لغوية".

إن قصة الحياة لا تكون فقط بين الباحث والمبحوث بل يمكن أن تكون بين صديقين. لكي يمكن التمييز بين قصص الحياة المنتجة داخل إطار مقابلة البحث وتلك التي تظهر داخل حديث بين الأصدقاء، في حالة الأولى تسجل القصة داخل علاقة أين يكسب الباحث

ثقة المبحوث، مما يؤدي بهذا الأخير للإدلال بأسراره ويكون هنا الهدف هو الكشف عن الذات وإثراء المعرفة العلمية، أما الثانية فهي مجرد حديث غير موجه من أحد والهدف منه التواصل من جهة وحاجة أحدهم لآخر يستمع إليه من جهة أخرى. فالباحث يبحث عن الإمساك عبر حديث المبحوث بالطريقة التي من خلالها يركب المبحوث أو يتمثل بها موضوعا أو ظاهرة معينة، إن ذلك يجعل المبحوث في علاقة مع ذاته ومع تجربة على شكل كلمات.(نفس المرجع ،2013،ص126)

مقابلة البحث:

تعتمد قصة الحياة في هذا البحث على المقابلة كتقنية للبحث، والتي لا تستجيب إلى طلب المريض ولكن إلى سعي من أجل تركيب معارف علمية من قبل الباحث، يتم إعلام الأشخاص المراد العمل معهم قبلا بموضوع وهدف المقابلات التي يتم فيها سرد قصة الحياة الخاصة بكل واحد منهم. يكون ذلك اختياري أين يمكن أن يتكلم المبحوث عن خبراته المعاشة وهو فقط من يقرر ذلك، إذ يجب أخذ موافقته. كما يضمن الباحث للمبحوث أن كل ذلك يكون في سرية تامة مع إخفاء المعلومات التي قد تشير إليه.

مقابلة البحث مثل المقابلة الإكلينيكية، لا يدخل الباحث في الحوار مع المبحوث ولا يطلب منه سرد قصة حياته إلا إذا قام الباحث بتحضير شبكة ومقياس النسق الأسري للفتاة الجانحة، وقد اعتمدت المقابلات على شبكة مقابلة خاصة بالمراهقات الجانحات، فقامت بوضع محاور تدور حولها أسئلة تخص موضوع الدراسة، أما عن مقياس فهو مكون من مجموعة أسئلة تساعدنا على فهم طبيعة تواصل بين الحالة وأفراد عائلتها.

يقوم الباحث بالاستماع الذي يخدم البحث وتنظيم القصة هو تابع إلى تدخلاته فهو يوجه باستمرار سير الحديث، حيث نادرا جدا أين تكون الأحداث متسلسلة حسب التسلسل الزمني، يمكن للباحث انطلاقا من عدد معين من الأحداث المذكورة من الماضي، أن يعيد تركيبها حسب تسلسلها الزمني، كما يمكنه الكشف عن التوتر الذي لم يعبر عنه السارد أثناء تعرضه لهذه الأحداث وذلك من خلال استعمال الملاحظة، أين يلاحظ إذا كان هناك تغير في نبرة الصوت، لون البشرة، حركات الجسم، طريقة الجلوس، فترات الصمت.

يمكن للباحث الاستعانة أثناء إجراء المقابلات بجهاز التسجيل صوتي أو تسجيل صوت وصورة، ولكن لا يقوم بذلك إلا بعد طلب إذن من المبحوث والحصول على موافقة هذا الأخير، وإفهامه أن استعمال الجهاز هو من أجل تسجيل كل ما يقال وتفادي نسيان بعض الأمور المهمة عند التدوين كتابة أثناء المقابلة وأن ذلك يساعد في عملية التحليل، وقد استعنا في بحثنا على التسجيل الصوتي ولكن بعد الحصول على موافقة المراهقين.

يسرد أفراد القصة من أجل إعطاء معنى، هذه القصة تشتمل في آن واحد على: حالة قصدية من قبل بطل الرواية وعنصر من الثقافة الخاصة به.(نفس المرجع ،2013،ص127)

2. إجراءات الدراسة:

انطلاقا من أهداف الدراسة المسطرة وتساؤلاتها ومنهج البحث المتبع حددنا الإجراءات التالية:

- تحديد المنهجية المناسبة ومن ذلك المنهج العيادي وعينة البحث.
- اختيار العينة الممثلة لمجتمع الدراسة والمتمثلة في عينة المراهقات الجانحات.
- اختيار الأدوات المناسبة لتحديد نتائج البحث.
- بعد إجراء الدراسة الاستطلاعية تم اختيار حالتين لإجراء الدراسة الأساسية.
- تم إعداد دليلا للمقابلة ومقياس النسق الأسري للفتاة الجانحة.
- ضبط المتغيرات وجعلها قابلة للدراسة وتوضيح ذلك في مخطط.
- تفسير النتائج ومناقشتها واستخلاص التوصيات والمقترحات المناسبة.

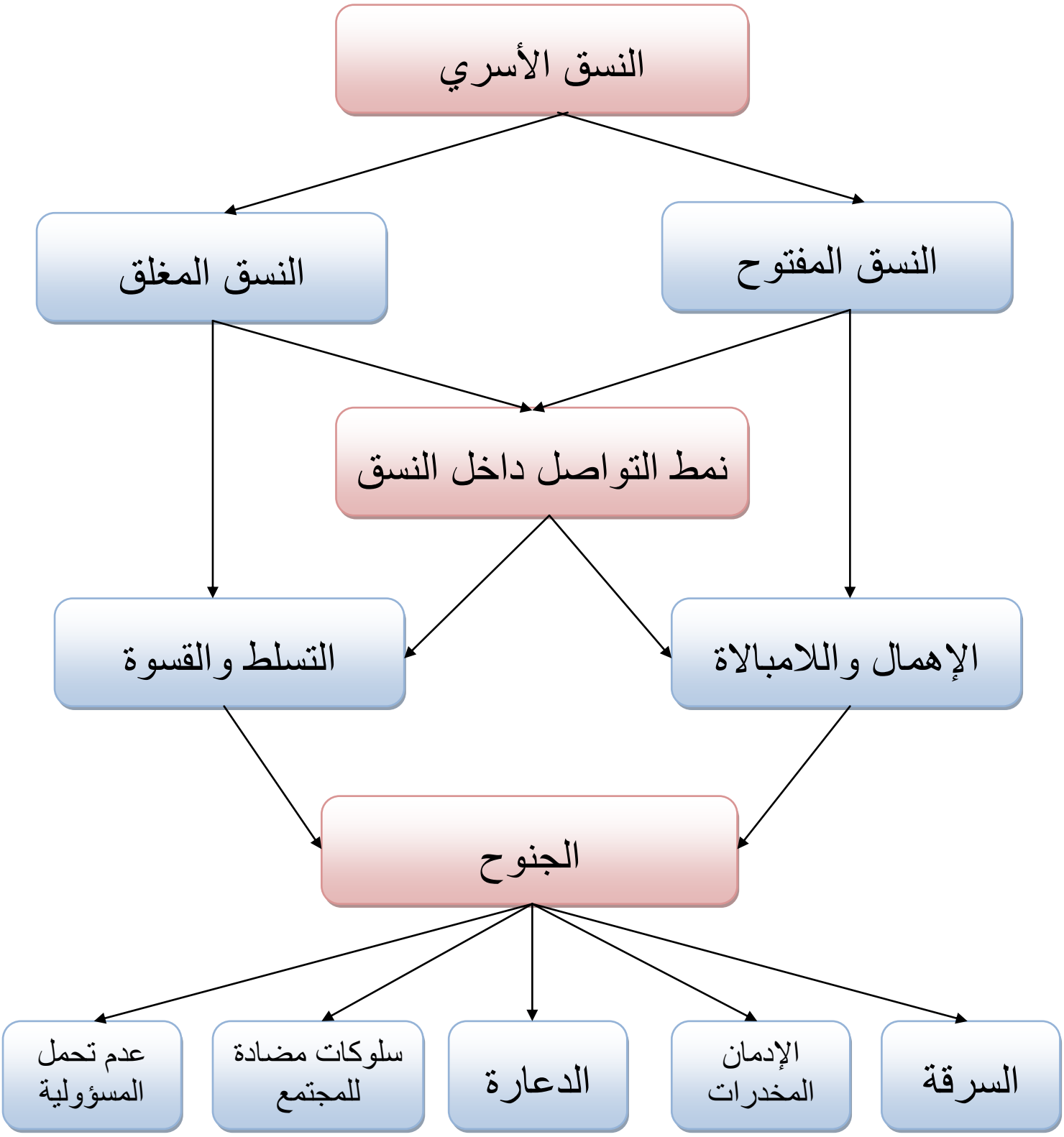

مخطط النسق الأسري وعلاقته بالجنوح

3. عينة ومكان الدراسة:

نحاول من خلال هذه الدراسة البحث في طبيعة النسق الأسري للفتاة الجانحة ومدى علاقته بانحرافها ولهذا الغرض أقيمت 7 مقابلات مع (3) حالات من الإناث المراهقات الجانحات المتواجدات بالمركز المتخصص في إعادة التربية بقمبيطا بولاية وهران يتراوح سنهم ما بين 16 و 18 سنة.

اختيرت قصتان للعرض في الدراسة الأساسية وذلك لتشابه الحالات.

دامت الدراسة حوالي شهرين ابتداء من 2015/04/26 إلى غاية 2015/06/14.

ركزت الدراسة على ثلاث متغيرات هي طبيعة النسق الأسري وطريقة التواصل داخله، وكذا طبيعة العلاقة بين الحالة وكل أفراد عائلتها، بالإضافة إلى انعكاسات هذه المتغيرات على شخصية المراهقة الجانحة ومدى علاقتهم بانحرافها والجنوح.

الجانب التطبيقي

الفصل الخامس

عرض قصة الحياة

عرض قصة حياة

قامت الدراسة بجمع ثلاثة قصص الحياة خلال التربص الذي أقيم بالمركز المتخصص في إعادة التربية للبنات بقمبيطا وهران، وقد اختيرت حالتين للعرض في الدراسة الأساسية، قمنا بشرح الهدف من الدراسة للمراهقات الجانحات وقبلوا اجراء المقابلة بكل صدر رحب، تم تسجيل بعض رؤوس أقلام كتابيا كما اعتمدنا على مسجل للصوت أحيانا بعد حصول على موافقتهم.

أجريت المقابلات مع المراهقات الجانحات في قسم من أقسام التدريس الخاصة بالمركز وذلك لانعدام مكان آخر، وسيتم فيما يلي عرض الحالتين:

الحالة الأولى:

قصة الحياة:

أجريت 7 مقابلات مع الحالة في قسم التدريس بالمركز المتخصص بإعادة التربية للبنات بقمبيطا بولاية وهران، دامت المقابلات حوالي 30 دقيقة كانت الحالة "إيمان" بسيطة التعامل وهادئة تجيب على الأسئلة المطروحة عليها وأحيانا تجيب بتحفظ.

"إيمان" مراهقة طويلة القامة، سمراء البشرة، ذات صوت منخفض متزنة الحركات والكلمات، كما أنها تتسم بالخجل والانطواء، وافقت "إيمان" على رواية قصتها بعد التعرف على هدف دراستنا كما رحبت بهدف الدراسة، حيث قالت "سقسيني وأنا نجاوبك".

أنا "ت. إيمان" مولودة في 06-07-1988 بوهران، أعيش مع عائلتي وجدتي بدوار بوجمعة بعد بيع أبي لبيتنا في دار البيضاء، أبي يعمل حمال وماما كانت منظفة بمؤسسة ولكن بعد إصابتها بمرض السكري توقفت عن العمل وهي الآن ربة منزل، عندي 6 إخوة، 3 أولاد، و3 بنات: حمودة 22 سنة، حورية 23 سنة، مروة 13 سنة، هواري 11 سنة، آدم 7 سنوات، نرجس 5 سنوات.

كانت ولادتي عادية عند بلوغي 4 سنوات أخذتني جدتي للعيش عندها وتم انفصالي عن أمي حتى 10 سنوات لكن كنت أذهب أحيانا لأيام وأرجع لم أكن أهتم في البداية عن بعد عنها لصغر سني لكن عند دخولي المدرسة بدأت أشعر بأني وحيدة وبأن أهلي تخلو عني وذلك لاختياري أنا بالتحديد للذهاب للعيش مع جدتي دون بقية أخواتي رغم أن جدتي كانت تحسن معاملتي ولي غرفة مستقلة وكل طلباتي مستجابة بعكس بيت أبي الذي لم يلبي لي احتياجاتي أبدا ومع هذا لم أكن راضية عن معيشتي مع جدتي.

عند تأزم أوضاع العائلة اقتصاديا اضطر أبي لبيع البيت بدار البيضاء والانتقال للعيش عند جدتي التي لم تكن مرحبة بمجيئهم لم أكن مرتاحة لمعاملة جدتي لعائلتي كانت تفرق بيني وبينهم في كل شيء حتى الأكل وكانت دائمة الشجار والتذمر منهم بدأت أحس بمشاعر الكره لجدتي.

بعد فترة من انتقال عائلتي للعيش معي ومع جدتي دخل أبي للسجن بتهمة السرقة، كما أن أبي كان مدمن للكحول والمخدرات مما اضطر أخي الأكبر لترك مقاعد الدراسة لإعالة العائلة مع والدتي ومساعدتها بالمصاريف البيت، كان جو البيت دائم المشاكل والتوتر خصوصا عند خروج أبي من السجن فقد أصبحت معاملته لنا أسوأ مما كانت عليه حيث كان دائم الشرب ولا يرجع للبيت إلا ليلا وفي كثير من الأحيان يبدأ بضرب والدتي وأخواتي إن قاموا بأي سلوك لا يرضيه دون أن يفهم لماذا قاموا بذلك، أما أنا فكان متسلط في تعامله معي عكس أختي الكبرى التي كان يحبها لأنها كانت مطيعة له وتنتظره ليلا لتلبي له حاجياته كتحضير العشاء له، أما أنا فلم أكن أتواصل معه عندما يدخل للبيت أذهب للنوم لكي لا أراه كان شديد التعامل معي ويرفض خروجي من البيت بحجة أنني أصبحت كبيرة لم أكن أهتم بكلامه وكنت دائمة الخروج من المنزل وعند عودته بمجرد أنني خرجت كان يبرحني ضربا بكل أنحاء جسمي وبأي شيء حتى أنه مرة ضربني بعصا على وجهي ومازالت بعض أثار الضربة على وجهي كل هذا يزيد من عنادي ويجعلني أصر على عصيان أوامره، كنت أفرح عندما أغضبه، لم تكن أمي قادرة على صد أدى أبي عني لم تكن لها لا حول ولا قوة أمامه فقد عانت الأمرين منه حتى أنها بسبب كثرة المشاكل

أصيبت بداء السكري، مم جعلها تمكث في البيت وتترك العمل كانت أمي بعكس أبي تحبني كثيرا وتفضلني على بقية أخواتي حتى أنها كانت تحضر لي ما لا تحضره لأخواتي كشراء بسكويت Gallette لي لأنني كنت أرفض شرب القهوة لوحدها، أما جدتي فقد تغيرت معي حتى صارت تأنبني لكثرة خروجي وتتشاجر مع أمي وتتهمها بأنهم السبب في انحراف وتغير سلوكاتي.

كنت تلميذة ذات مستوى لا بأس به في الدراسة فقد انتقلت إلى السنة الثانية ثانوي وكنت أنا الوحيدة في بيتنا التي أكملت دراستها ووصلت إلى هذا المستوى، لكن حصل لي مشكلة مع أستاذة حيث قامت بضربي فرفضت ذلك وشتمتها قامت الأستاذة بكتابة تقرير ضدي ليتم طردي من مقاعد الدراسة.

لم أكن أجد ما أفعل وأصبح لدي وقت فراغ كبير كنت أشعر بالملل والإحباط تعرفت على أحد الجيران اسمه "حمودة" بعد طلبه رقمي والتعرف علي، رفض أبي خروجي معه وضربني ولأني أحب أن أفعل أي شيء يمنعني عنه والدي لم أهتم لأوامره أو ضربه لي بالعكس "كنت نزيد أنا خشينة كيما هو وقبيحة كيفاه".

توطدت علاقتي مع حمودة لدرجة أنه في يوم طلب مني ذهاب معه إلى بلعباس لزيارة أخته قبلت دون تفكير ودون تردد وطبعا بدون معرفة عائلتي بذلك لأنهم أكيد سيرفضون وبالفعل ذهبت معه ، ذهبنا عند أخته ثم إلى بيت صديقه الفارغ أمضينا الليلة هناك وحينها أعطاني مهلوسات "كاشيات" وكذلك شربنا الخمر كما تعاطيت المخدرات ولأنني كنت في حالة سكر سلمت له نفسي وقمت معه بعلاقة غير شرعية وعلى إثرها فقدت عذريتي.

بدأ أهلي بالبحث عني لأني لم أرجع للبيت وقام أبي بتبليغ الشرطة عن ضياعي إلا أن عرفوا بذهابي مع حمودة جارنا قامت أمي بتواصل معي من خلال حمودة وطلبت مني الرجوع وطمأنتني بأن أبي لن يقوم بمعاقبتي وبالفعل في اليوم الموالي رجعت إلى البيت وقام الأب بتنازل عن البلاغ ضد حمودة الذي اتهمه باختطافي واغتصابي وذلك بعد

اعترافي بأني أنا من سلمت له نفسها، لم يقم أبي بمعاقبتي بالضرب كعادته لكنه أصبح لا يتواصل معي أبدا وكأنني لست موجودة في البيت وكأنني لست ابنته، لم يشعر أحد في البيت بمعاناتي حيث أنني كنت في صدمة رغم أنني قمت بالعلاقة بإرادتي لكنني أصبت بصدمة فكنت أتذكر التفاصيل في كل لحظة حتى أصبحت أخاف الخروج من البيت.

كثرت المشاكل في بيتنا أكثر من الأول ولم يبقى باستطاعتي التحمل أكثر فقررت أن أذهب إلى حمودة الذي قطعت التواصل معه لمدة شهرين وطلبت منه أن يجد لي حلا عرض علي السكن معه إلى غاية ما يتمكن من الارتباط بي خصوصا أنه كان بدون عمل.

قبلت وانتقلت للعيش معه ولم ترفض عائلتي ذلك عشت مع حمودة وأخوه في بيتهم حيث كان يتيم الأبوين وكنت أعيش معه وكأنني زوجته أقوم بكل أعمال البيت وحتى أنني كنت أنام معه في الأيام الأولى، كانت علاقتنا جيدة وخالية من مشاكل ولكن بعد فترة بدأت المشاكل بيني وبينه بالظهور خاصة عند طلبي منه الزواج مني كان يتهرب بحجة عدم قدرته المالية وأن ليس لديه عمل ثابت.

تفاقمت المشاكل بيننا وقررت الهروب لأنني من الأساس هربت مكن منزلنا لنفس السبب وهو هروب من مشاكل، لم أجد أين أذهب سوى لبيت صديقة أمي التي كانت تحبني ورحبت بمجيئي "حكيت لها قصتي وقالت لي ما كانش مشكلة قعدي معايا" لكن بمجرد معرفتها بأنني فقدت عذريتي عرضت علي العمل معها حيث كانت تدير بيت للدعارة لم أكن أعرف ذلك من قبل "كنت صغيرة وكانت دس علينا واش تخدم" لم يكن في وسعي الرفض لأنه لا مكان لي لأذهب إليه، وبالفعل بدأت العمل معها في الدعارة حيث تحضر الرجال إلى بيتها للسهر، بدأت بتعاطي المخدرات بجميع أنواعها كـ "exta" كان الرجال الذين يأتون هم من يحضرونها لنا عند قيامي بشربها "نحس روحي خفيفة وفرحانة ونقعد نرقص وماعلا بالي بوالو" وكذلك شرب الخمر كـ "wiski و vodka " كل يوم وكذلك ممارسة العلاقات مع الرجال في كل ليلة بعدما نقوم بتسليتهم بالرقص، كنت على هذه الحالة كل يوم حتى ساعات الأولى من الصباح، ومع كل هذا لم يكن لعائلتي على دراية بما أفعل أو ما يحصل لي كانت أمي تتواصل معي أحيانا لتطمئن علي ولكن خوفها من أبي لم

تكن قادرة على مساعدتي وإخراجي من هذا العالم الجديد الذي دخلته، حتى أنها لم تكن تعرف بأن صديقتها تملك بيت للدعارة.

كنت أصاب بحالات من الاكتئاب كما وصلت إليه حتى أنني كنت أصل لدرجة "نجرح روحي بـ Gillette باه يسيل الدم كنت نبغي نعذب روحي كنت مين نشوف الدم نريح ونروح نرقد" بقيت على هاد الحال لمدة 6 أشهر إلى أن قررت في يوم أن أرحل من ذلك البيت، قمت كعادتي بالسهر والشرب وتعاطي المخدرات وكذلك بقيام بعلاقة مع أحد الرجال هناك وفي الصباح الموالي رحلت دون إخبار أحد بذلك وتوجهت إلى مركز الشرطة وطلبت منهم تحويلي إلى المركز لعدم وجود مأوى أذهب إليه وبالفعل تم توجيهي بحكم المحكمة إلى مركز إعادة التربية يوم 12-01-2015 وذلك بتهمة خطر معنوي وأنا هنا الآن أعيش أحسن مما كنت عليه في السابق.

فالأيام الأولى كانت صعبة لكنني تعودت على طريقة العيش وقوانين داخل المركز، كما حصلت على شهادة في الإعلام الآلي وحياتي أفضل كما أن أمي تأتي لزيارتي باستمرار وقريبا سأتزوج وذلك لقبولي بشاب قام بخطبتي وذلك بمساعدة مديرة المركز.

التعليق على القصة:

إن الأسرة هي الوحدة البنائية الأساسية التي تقوم بدور الرئيسي في بناء شخصية الطفل وكذا تلبية حاجياته البيولوجية والنفسية لأجل نضوجه بطريقة سليمة وخالية من الاضطرابات، كما أنها تعتبر كمجتمع مبسط يوفر للطفل الإطار الضروري لتطوره العاطفي لأجل بلوغ النضج والذي يتمثل في نمو الفرد في علاقة مع المجتمع وبالتالي الاندماج فيه كما أن الأسرة تعتبر مؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية وهي الوحدة أساسية لبناء المجتمع تتكون من أشخاص تجمع بينهم روابط مختلفة ومصالح مشتركة وصلة زوجية وقرابة ويتفاعل أفرادها وفقا للأدوار الاجتماعية ويترتب على ذلك حقوق وواجبات بين أعضاء الأسرة.

تتمثل حالة "إيمان" في أنها مراهقة جانحة عنيدة واندفاعية لا تخاف ولا تهتم بالعواقب وذلك يرجع لطبيعة النسق الأسري الذي تعيش فيه المليئ بالاضطرابات والمشاكل.

الأسلوب وطريقة التواصل:

تفترض الدراسة أن الاختلال الوظيفي لعملية الاتصال داخل الأسرة يؤدي بالمراهقة إلى الجنوح.

يعتبر مفهوم الاتصال من منظور النسقي خاصة مدرسة Palo Alto التي ترى أن ماهية الاتصال تتمحور حول سيرورات العلائقية والتفاعلية والروابط التي تنشأ بين العناصر المكونة للنسق، كما أن الاتصال هو عملية تفاعل متبادلة فهو سيرورة تفاعلية وهو ظاهرة علائقية كما يرون أن الإضطرابات النفسية للشخصية تعود إلى اضطرابات في عملية الاتصال بين الفرد الذي يحمل العرض ومحيطه الذي ينتمي إليه وهذا ما يظهر في حالة "إيمان" حيث أن هناك اضطراب في عماية الاتصال بين الحالة وأفراد عائلتها خاصة الأب حيث قالت: أنا مين يدخل بويا للدار نروح نرقد ما نبغيش نهدر معاه ولا نشوفه" وعند اختلال عملية الاتصال الذي يجب أن تكون وظيفته كرابط ايجابي بين الأفراد نجده يؤدي إلى ابعادهم وخلق سوء تفاهم بينهم وهذا ما نجده واضحا في حالة "إيمان" حيث قالت: " خرجت من الدار لخاطر كرهت من مشاكل وما كانش ليسمع بيا وحتى واحد ما حس بيا وبلي صرالي".

طبيعة النسق والعلاقات داخل هذا النسق:

إن النسق هو مجموعة عناصر في تفاعل وأي تغيير في عنصر من العناصر يؤدي إلى تغيير الكل، كما أن النسق الأسري هو نسق مركب ومعقد في تركيباته ويعتبر سلوك أحد أفراد الأسرة نتيجة تفاعل مع الأفراد الآخرين للعائلة أو المحيط الخارجي، كما أن هناك أنواع للأنساق وهما النسق المغلق المفتوح وفي حالة "إيمان" نجد أن النسق مغلق حيث تكون فيه الأسرة منعزلة ماديا ونفسيا عن المحيط الاجتماعي ويكون أفرادها اتصال

محدود بالعالم الخارجي، كانت أسرة إيمان منسجمة اجتماعيا علاقاتها محدودة مع العالم الخارجي وحتى الحالة المادية كانت سيئة حيث كانت تقول "ما كانش عندنا معارف بزاف ونريد حالتنا كانت صعيبة لوكان ما شاي ماما كانت تصرف ماكانش ليصرف علينا".

يرى Halley أن في كل نسق أسري يوجد تحالفات وتبرز التحالفات في الأسر التي تسودها علاقات زواجية سالبة، كما حدد أنواع لهذه التحالفات ومن بين هذه الأنواع نجد الاتحاد المعكوس الذي يعبر عن النسق الأسري للحالة "إيمان" حيث نجد في الأسرة أحد الوالدين متسلط ويقمع حاجيات الآخر وهذا بالضبط ما ينطبق على والد إيمان "هو صعيب وواعر وخشين كا دايما يضرب ماما ويحقرها Surtout مين يجي سكران كرهلنا عيشتنا كان يوصل حتى يضرب خويا الكبير".

لقد وضعت مينوشن أنماط بنائية للأسرة على حسب وظائفها ومن بين هذه الأبنية الحدود وهي القواعد التي تحكم أداء من ينتمون للنسق الأسري وكل ما كانت هذه الحدود واضحة ونفاذة تكون الأسرة مترابطة أما في حالة خلل أو اضطراب في هذه الحدود نجد الاختلال والتشابك في الأسرة وهذا ما ينطبق على نسق الأسري الذي تعيش فيه إيمان حيث لا يوجد قوانين أو نظام ينتبه الوالدين في التربية حيث قالت إيمان "قبل كنت نخرج Normal بصح غير دخل بويا للحبس وخرج تبدل علينا ولا يحكم فيا وما يخليناش نخرجوا "كما أنه لا توجد الهرمية وهذا النمط الثالث الذي وضعه مينوشن لوصف توزيع القوة في الأسرة وبأن يكون الوالدين في قمة الهرم والأولاد في المستوى الأدنى، لم يكن هناك هرمية واضحة في أسرة "إيمان" حيث كل مرة كان يتولى مصاريف البيت أحد الأفراد أحيانا الأم وأحيانا الأخ الأكبر في غياب وعدم التزام الأب بمسؤولية البيت حيث قالت: "إيمان" كانت ماما تصرف علينا ومين مرضت ولى خويا يخدم وبويا ماكانش يديها فينا يبغي يحكم فينا وهو Même pas ما يصرفش علينا ملي نعقل عليه وهو حمال ودراهمه قاع يضيعهم في شراب وزطلة" كل هذا جعل نسق الأسري لإيمان مضطرب وأفراده لا يقومون بواجباتهم كأسرة عادية مهمتها الحماية والأمن وتلبية حاجيات أبنائها.

علاقة الحالة بالأب:

كانت الحالة إيمان تربطها علاقة جد سيئة ومتدهورة مع أبيها كما أنها كانت تكرهه وتعترف بذلك بقولها: "أنا ما نبغيهش وما علابالیش به كيما هو ماعلابالهش بيا".

أسلوب الأب متسلط وقاسي ومتصلب الرأي تتمثل العلاقة بين الوالد وإيمان بالقسوة والعنف وتصلب الرأي حيث تعرفه على مستوى المباشر على أنه "واعر وقلبه قاصح" وتشير إلى تصلب الرأي بقولها" خشين وما يسمع لحتى واحد يدير غير اللي في راسه وأنا خرجت كيفه خشينة".

ويعتبر أسلوب القسوة من أهم الأسباب والعوامل المؤدية للجنوح عند المراهقات والمراهقين" كما أن نوع الاتحاد بينهم هو الاتحاد المعكوس كما ذكرنا سابقا مما يجعل الأب ينعزل نفسيا ويلجأ للمخدرات والكحول وهذا ما يجعل علاقة سلبية بين الأب والإبنة وهذا ما نراه جليا في حالة إيمان وعلاقتها بوالدها.

علاقة الحالة بالأم

تتسم العلاقة بين "إيمان" ووالدتها بالحب وبأنها علاقة جيدة جدا حيث في أحد مقابلاتي بها كانت الأم قد قامت بزيارتها فكانت علامات الفرحة والسرور ظاهرة على وجه إيمان كما قالت "اليوم سقسيني شاه تبغي راني فرحانة اليوم اندرلانين راه زايد عندي لخاطر شفت ماما وهدرت معاها".

ساهمت أم إيمان في توطيد علاقتها الثنائية "أم –طفل" من خلال استغلال ابتعاد الأب وإدمانه "كانت ماما دايما تتهلى فيا وتسقسي عليا حتى في تعاملها معايا هي حنينة بزاف وتبغيني".

كما ذكرنا سابقا بأن هناك اتحاد معكوس داخل نسق الأسري للحالة إيمان بحيث هناك تحالف بين الأم وابنتها وهذا ما عزز علاقة الجيدة بين الأم وابنتها وجعلها علاقة إيجابية.

علاقة الحالة مع الإخوة

إن علاقة الحالة إيمان بإخوتها كانت جيدة لأنها كانت تشعر بمدى الظلم الذي عاشوه كلهم من طرف الوالد بقولها: "أنا نبغي قاع خوتي مساكين ما عشناش قاع غاية وهما تاني كانوا يعانوا من بابا وقباحة نتاعه".

علاقة بين أفراد العائلة

إن علاقة الزوجين لم تكن جيدة بحيث الأب كان مدمن مخدرات وكذلك مدمن كحول ودائم الشجار مع زوجته مما أثر ذلك على الجو السائد داخل الأسرة وعلى نفسية أفراد العائلة ككل.

كان هناك تناقض في تعامل من طرف الوالد وتفرقة بين أبناءه كتمييزه للبعض وحسن معاملتهم كالبنت الكبرى والصغرى واحتقار وتسلطه على بقية كابنه الأكبر وابنه آدم حيث قالت إيمان " آدم كيفي مسكين مين يشوف بابا يدخل للدار يروح يرقد كان يظل يضرب فيه".

أما الأم فكانت حنونة مع الجميع وتحاول اهتمام بكل أفراد العائلة على حسب قدرتها كانت الأم ذات أسلوب متساهل في التربية ومتسامح مع الحالة وكل أولادها "ماما Jamais ضربتني حتى لو كان نغلط وهي قاع معانا هاك حنينة".

خلاصة الحالة إيمان

إيمان مراهقة جانحة، تتسم بالعناد والاندفاعية ولا تخاف العواقب كما أن الحالة "إيمان" تتسم بـ égocentisme وهو انحصار في الذات حيث صاحبة هذه السمات يتخطى العار الاجتماعي والذي يعتبر العقبة الأولى في ارتكاب الجريمة أو الانحراف، كما أن لها نقص في المشاعر والعطف والحب نحو الآخرين كما كانت تقول "أنا ما يشوفونيش الناس قلبي قاصح" ليس لديها إحساس بالمسؤولية كما أنها كانت مدمنة على المخدرات والكحول تتكون هوية الجانحة مرورا بسيرورات تميزت بإخفاقات على مستوى التواصل بين أفراد

داخل النسق الأسري الذي تعيش فيه الجانحة، إن اختلال وظيفة الاتصال داخل نسق الأسري وكذا تفاعل العلاقات داخله يؤثر على مستوى البنية النفسية للفرد، فغياب التواصل أو اضطرابه مع الأب يؤدي إلى تكسير علاقة الحب والعلاقة الحميمية التي يفترض أن تبنى بين الأب وطفله وبالتالي تتطور العلاقة بطريقة سلبية بين الطرفين.

إن الاتصال بين أفراد العائلة بطريقة صحيحة يجنب الأبناء من الانحراف والجنوح، ولما يحصل اختلال لهذه الوظيفة المهمة وبتأثير العوامل والإخفاقات السابق ذكرها انتقلت "إيمان" تدريجيا إلى السلوكات الجانحة فبدأت بسيرورة انحرافها من طرد من مقاعد الدراسة إلى اللجوء إلى علاقة غير شرعية وبالتالي فقدان عذريتها ثم إدمان على التدخين وتعاطي المخدرات والكحول ثم دخول عالم الدعارة لتصبح فريسة لمجتمع لا يرحم.

يؤثر تعامل الوالدين مع أولادهم كتسلط من طرف تساهل من طرف الآخر على شخصية الأولاد وهذا ما نراه في حالة إيمان حيث الأب متسلط وقاسي والأم متسامحة ومتساهلة، كما أن هذا سيطور علاقة سلبية من طرف وأخرى ايجابية من طرف آخر كلا على حسب طريقة تعامله.

إن اختلال الاتصال داخل النسق وانغلاقه من أهم الأسباب التي تؤثر على كينونة وشخصية الطفل والمراهق وبالتالي ساعده على انتقال إلى سلوكات جانحة تدريجيا حتى يصبح جانحا مندفعا ولا يتحمل المسؤولية ولا يخاف ولا يهتم بالسلطة أو العقاب وهذه من أهم مميزات الشخصية الجانحة.

كما يمكن اعتبار أسرة إيمان أسرة متصارعة على حسب تصنيف "Le Blanc" لنماذج الأسر الجانحة حيث تمثل هذه الأسرة نسبة 15% وتتميز بشيوع الصراعات والخلافات الزوجية بين الوالدين، واضطراب العلاقات بين أفرادها ويقل فيها الإشراف الوالدي كما يكثر العقاب وهذا ما يظهر جليا في حالة إيمان التي كانت تعاني من عقاب المستمر من طرف الوالد وصراعات واختلافات التي سبق ذكرها بين أفراد العائلة كما تعتبر إيمان عائلتها سبب لجوءها للجنوح واضطراب سلوكاتها على حسب الأجوبة التي

قدمناها لها في مقياس النسق الأسري للفتاة الجانحة كما تمكنا من معرفة نظرتها لنسق الذي تعيش فيه حيث كانت إجابتها بأنها لم تكن مرتاحة وتعيش جو كئيب من كثرة المشاكل والصراعات التي كانت تعيشها داخل نسق الأسري.

الحالة الثانية:

قصة الحياة:

أجريت 7 مقابلات مع الحالة في قسم التدريس بالمركز المتخصص بإعادة التربية للبنات بقمبيطا بولاية وهران، دامت المقابلات حوالي 30 دقيقة كانت "سامية" بسيطة التعامل ونشيطة دائمة الحيوية تجيب على الأسئلة بتلقائية ثم التحقق من إجابتها من مصادر مختلفة كالإحصائية النفسية والموظفين الموجودين بالمركز.

"سامية" مراهقة متوسطة القامة نحيفة، بيضاء البشرة، ذات صوت مرتفع كثيرة الحركة والكلام، كما أنها عصبية وتنفعل بسرعة دائمة التبسم، وافقت "سامية" على سرد قصتها بعد تعرف على هدف دراستنا وكانت جد متعاونة معنا ومبتهجة لمقابلتنا، حيث قالت "غير سقسيني واش بغيتي وأنا نجاوبك"

أنا "ق. سامية" مولودة بـ 24-06-1997 بغيليزان، أعيش مع إخوتي بدوار بغليزان، أمي متوفية منذ أن كان عمري 6 سنوات وأنا لا أتذكرها جيدا، أما أبي فكان ميكانيكي لكنه لا يعيش معنا ولم أكن أعلم بوجوده إلى أن يأتى للعزاء في وفاة أمي، لي 3 إخوة وهم خيرة 30 سنة، عبد الهادي 28 سنة، محمد 19 سنة.

كانت ولادتي عادية عند بلوغي 6 سنوات توفيت أمي إثر مرض سرطان الرحم حيث أن أمي كانت تعمل في الدعارة بعد تخلي والدي عنها وعن العائلة، ولم يكن من يتكفل بمصاريف البيت فأحيانا أختي وأحيانا أخي، كانت حياتنا جد صعبة كنت أتنقل من بيتنا إلى بيت خالتي هربا من أختي التي كانت تضربني وتعاقبني بحبسي في دورة المياه لكي أذهب إلى المدرسة التي لم أدخلها حتى بلوغي 10 سنوات كنت أذهب إلى خالتي لأحتمي بها وكذلك لكي لا أذهب إلى المدرسة ثم انتقلت إلى بيت عمي كان يعاملني بطريقة جيدة ولا يفرق بيني وبين أبناءه لكن لم أبقى كثيرا عنده حيث أرجعتني أختي إلى البيت مرة أخرى وأرغمتني على دخول المدرسة.

كان في المدرسة ينادونني "أنتي أمنا" لأني دخلت كبيرة للمدرسة لم أكمل الدراسة لكثرة غيابات توقفت عند الدراسة في السنة الأولى ابتدائي بعد خروجي من المدرسة بدأت العمل في الأسواق وبيع أكياس "Les sachets" كنت أحب كثيرا هذا العمل وحصولي على المال بعد ذلك بدأت بالعمل مع أخي في بيع الخضر "كنا نبيع القصبر والمعدنوس ونعاون خويا" أما أختي ولعدم تمكنها من حصول على أي عمل بدأت العمل بالدعارة كأمي، أما أخي عبد الهادي فكان دائم السكر والمشاكل وكل مرة يدخل السجن لعدة تهم منها السرقة وتعاطي المخدرات أما أبي فكان لا يهتم بأوضاعنا أو حالتنا مع أنه كان مرتاح ماديا بامتلاكه لأرض زراعية ومصنع للدجاج، لم يكن يأتي أو يسأل عنا وكأننا لسنا أبناءه كان يهتم بعائلته الأخرى وأولاده فقط، كما أنني لم أكن أنتظر زيارته لنا حيث قالت "ما كنتش نستنى يجي يسقسي علينا لخاطر عمره لجى وسقسى كنا موالفين من صغرنا بلا بيه".

كنت أشبه الولد بملابسي وتسريحة شعري كنت أقصه Coupe Garçon ، كنت دائمة العمل لا أحب الاعتماد على أحد، عند بلوغي 13 سنة تعرفت على صديق أخي اسمه "قب" كان جارنا في البيت القديم قابلته في السوق رفقة أخي فعرفني عليه قال لي: "كبرتي معرفتكش" كان هو كذلك يبيع في السوق توطدت علاقتي به كنت دائمة التجول معه إلى أن في يوم ذهبنا للغابة وهناك قمت معه بعلاقة برغبتي بعد تناولي لحبوب مهلوسة من نوع "extasy" فقدت عذريتي بعد رجوعي إلى البيت قامت أختي بأخذي إلى مركز الشرطة للإبلاغ عن "القب" ولكنني اعترفت أنني أنا من أردت ذلك تم عرضي على قاضي الأحداث مما أصدر حكم بتحويلي إلى مركز إعادة التربية بقمبيطا وبالفعل دخلت كما حكم على الشاب بالسجن، بعد قضائي لفترة عقوبة بالمركز وهي 4 أشهر عدت إلى البيت وإلى حياتي كما كنت.

كان بيتنا دائم المشاكل فأخي عبد الهادي كان يأتي بصديقاته للسهر بالبيت أما أختي فكانت تعمل بالليل في الدعارة لم نكن نلتقي إلا عند الأكل وحتى وقتها كنا نتشاجر ولم يكن هناك أي تواصل بيننا حتى أنني لا أشعر بأي مشاعر الحب اتجاههم سوى أخي محمد الذي كان "غير هو مربي فينا وكان يقرا في الزاوية" بعد خروجي من المركز بدأت أختي

بإجباري على العمل معها في الدعارة وكنا نتشاجر دائما لأجل هذا الموضوع، أختي كانت مادية فقالت: " غير نتاع صوالحها وتبغي الدراهم". كنت أرفض لأنني لا أريد أن يحصل لي ما حصل لوالدتي.

بقيت في اتصال مع "القب" وأصبحت أعمل معه فهو كان تاجر مخدرات وأنا أساعده في تخبئتها في منزلنا خوفا من الشرطة، كنت أحصل على حصتي من المال في كل عملية نقوم بها، كان لي أصدقاء أولاد فقط حتى أنهم كانوا ينادونني "سمير" لتشبهي بالولد كنت أتعاطى معهم كل أنواع المخدرات فقالت " كنا نضربوا الحلوة قاع لي كاينة "دومينو" و "scorpion" وتاني كنت نشم الغبرة سموهاneant هذي غالية قليل لي يديرها بصح أنا كنت نبغيها ونشربها malgré غالية" كنت نلعب القمار ونشرب الكحول مع بعض، وفي كثير من الأحيان أنا حرمهم في الشارع هربا من المشاكل الموجودة في بيتنا وكنت أرجع للبيت عند خروج إخوتي لأغير ملابسي ثم أخرج ثانية للعمل وكل يوم كنت على هذا الحال تفاديا للمشاكل مع إخوتي.

اتفقت مع صديقي "أسامة" على سرقة دجاج أبي حيث بعثوني لإشتراء دجاج منه لعرس عمي "كان بويا يبغي الدراهم حتى عرس خوه وباع له دجاج روحنا أنا وأسامة وجبنا دجاج في بلاصة الي نجيب 40 دجاج جبت 60 عطيناهم 40 و20 ديناها وبعتها أنا وأسامة زكارة في بوي".

كان أبي غيربالي لنا وكنا نبادله نفس الأسلوب وهو عدم المبالاة لوجوده أو غيابه.

كان بيتنا مفتوح للجميع لأصدقاء أختي وأخي وفي مرة من المرات قامت أختي بدعوة صديقين لها وأرغمتني على البقاء للعشاء معهم، قبلت خاصة أنها كانت قد حضرت وجبة جيدة للعشاء لم نكن نأكلها كل يوم عند حضور الصديقين بدأ أحدهم التحرش بي برجله من تحت الطاولة ضربته برجلي وقمت من الأكل وخرجت من البيت لجلب الخضر لبيعها في الصباح، بعد عودتي للبيت قالت لي أختي بأن صديقها قاموا بدعوتنا للذهاب عندهم إلى الشلف حيث أنهم يملكون بيت على البحر، قبلت رغبة مني للذهاب إلى البحر بالفعل ذهبنا

أنا وأختي وزوجة أخي عندهم، لم أرتاح لنظرات أصدقائها لي لكنني لم أهمتم بهم نزلت مع أحدهم للتجول بالمدينة وبعد عودتي اكتشفت أن أختي عادت إلى البيت هي وزوجة أخي وبقيت أنا لوحدي مع صديقها طلبوا مني البقاء لعدم وجود وسائل النقل بقيت لأن ليس لدي أي خيار آخر وفي الليل هجم علي هما الاثنين واغتصبوني وقامو بضربي كنت أصرخ ولم أجد أحد يساعدني بقيت هكذا حتى الصباح تركوني لأذهب لم أكن قادرة على المشي وعند وصولي إلى البيت تشاجرت أنا وأختي لأنها هي سبب ما حصل لي فقالت: " أنا نظن هي كانت متفاهمة معهم وراحت وخلتني وحدي بلاك عطوها دراهم لخاطر لو كان قاتلي بلي راهم باغيين يرقدوا معايا مانقبلش هي حشاتهالي اختي غير نتاع صوالحها وعلى دراهم تموت".

بقيت فترة في البيت وبعدها عاودت رجوع إلى عملي لأنني إذا لم أعمل لا أجد ما آكله أو مال لشراء لأن لا أحد يعطيني المال، في يوم بعث لي صديقي أسامة صديقه يريد أن يبيع هاتفه Portable عند التقائي به عرض علي الهاتف قبلت شراءه لأنه كان محتاج للمال، كما أنني طلبت منه إذا كان بحوزته قطعة مخدرات "زطلة" لأنني كنت محتاجة أن أتعاطى المخدرات.

قام ببيع لي قطعة ب 200 دينار بعدها بقليل كانت دورية للشرطة تقوم بجولة على الحي خاصة أن الحي الذي أسكن فيه "غير نتاع دبازي واصحاب زطلة فيه كل مرة طيح La police عليه وترفد زطايلية، قامت الشرطة بتفتيشنا فوجدت عندي زطلة وسكين من نوع "بوسبعة" أخذتنا إلى مركز الشرطة قاموا باستدعاء أختي التي كنت تحت كفالتها ولكن بمجرد حضورها ومعرفتها بتهمة الموجهة لي وهي حيازة المخدرات وسكين قامت بالتخلي عني "قالتلهم أنا خاطيني من l'affaire فيها زطلة وخدمي أنا ماشي مسؤولة عليها" ثم عرضنا على قاضي الأحداث نكرت كل التهم الموجهة إلي واتهمت ذلك الشاب بأنه هو من يملك هاتف مسروق ومخدرات وسكين، ثم سجن الشاب وتم تحويلي بأمر من قاضي الأحداث إلى المركز إعادة التربية مرة أخرى بعد تأنيبي حيث قالت لي: "انت مش متربية

وأنا سبيتها لخاطر نكره لي يقولي هذا الكلمة" تم إدخالي إلى المركز إعادة التربية بصفة دائمة هذه المرة بعد تخلي أختي عني.

بدأت في التغيير بعد دخولي للمركز حتى أنني أطلت شعري كما تخلصت من إدماني على المخدرات بمساعدة الأخصائيين بالمركز وكنت أقوم بزيارة أهلي في العطل كما أنني تحصلت على شهادات في النسيج والسلالة والحلويات مع أنني كنت أكره الدراسة والتعلم، كما تربطني علاقة جيدة مع البنات هنا و الموظفين.

التعليق على القصة:

يحتاج الطفل إلى الأسرة التي تضمن له تلبية حاجياته الفيسيولوجية والنفسية والاجتماعية، كما تعتبر الأسرة أول مؤسسة اجتماعية يختبر فيها الطفل علاقاته مع مختلف أفراد الأسرة التي ينتمي إليها، كما تساعده على تكوين شخصيته من خلال التواصل فيما بينهم كنسق أسري متفاعل يؤثر ويتأثر.

يرى العلماء والباحثين في علم النفس أن الأسرة هي من تهتم بتلبية حاجيات الأولية لطفلها مع توفير الإطار الضروري لتطوره العاطفي من أجل النضج.

تتمثل الحالة "سامية" في أنها مراهقة جانحة، لها تشوه في الهوية الجنسية وذلك لتشبهها بالأولاد في اللبس والمظهر وحتى طريقة الكلام والسلوكات كما أنها عصبية وسريعة الاستشارة والانفعال، لا تتحكم في رغباتها وذلك يرجع لنمط النسق الأسري المضطرب الذي تنتمي إليه فهو فاقد للمعايير التي يجب أن يكون عليها النسق الأسري الذي يؤمن حاجيات الفرد الذي ينتمي إليه، كما أنها لم تتلقى الرعاية اللازمة لوفاة والدتها وإهمال وتخلي الأب عن أداء دوره المنوط به.

أسلوب وطريقة التواصل:

إن غياب التواصل بين أفراد العائلة الذي هو عبارة عن تفاعل بين أفراد النسق الواحد كما أنه ظاهرة علائقية مهمة للنمو النفسي سليم للفرد وأي اختلال في هذه العملية قد يعرض الفرد إلى اضطرابات نفسية وسلوكية كما هو الحال عند الحالة "سامية" حيث هناك اضطراب في التواصل بين كل أفراد العائلة دون استثناء حيث قالت: "دارنا غير نتاع مشاكل مين نتلقاو ندابزو دايما كنت نهرب من الدار وندخل غير الوقت اللي ما يكونوش حتى واحد في الدار" وعند اختلال عملية الاتصال الذي من الأساس وظيفته كرابط يجمع الأفراد يؤدي إلى إبعادهم.

طبيعة النسق والعلاقات الموجودة فيه:

إن النسق هو عبارة عن كل منظم ومتسلسل من عناصر متفاعلة وموجهة نحو هدف معين، وكل نسق يختص بديناميكية وسيرورة علائقية وهو في مبادلات مستمرة مع سياقه حيث يؤثر ويتأثر في الأفراد المكونة لهذا النسق، وهناك أنواع للأنساق كلا منها له خصائص تميزه عن الآخر، ومن بين هذه الأنواع نجد النسق المفتوح وهذا ما ينطبق على النسق الأسري للحالة "ساميةّ" ويتميز هذا النسق بأنه يتسم بالتبديل والتغيير حسب السياقات المتغيرة وهذه الأنساق تقبل تغيرات للمشاعر كالحب والغضب كما أنه يكون أفراد منفتحين على العالم الخارجي وكذا لهم علاقات كثيرة وهذا ما كان يميز "سامية" بكثرة علاقاتها نسبة لعملها في السوق وكذا كثرة علاقات أفراد العائلة كالأخت خيرة والأخ عبد الهادي حيث قالت "كانت أختي تعرض اصحابها لدار عندنا وثاني خويا يجيب صحابه واصحاباته دارنا ماكانتش تخوا".

كانت أسرة سامية مندمجة في المجتمع ولها عدة علاقات مع العالم الخارجي كتعويض للحرمان من العاطفة الوالدية وكذا الكسب لقمة العيش.

يرى مينيوشن "Minouchen" أن أفراد الأسرة يتفاعل كل منهم مع الآخر في أنماط يمكن التنبؤ بها والتي يمكن ملاحظتها مع تكررها مع الزمن ويشير إلى أن أعراض الفرد

تمثل وتعبر عن فشل الأسرة في تعديل بناءها حسب التغيرات البنائية، وذلك لعدم قدرة بناء الأسري على توفير متطلبات التطور والنمو لأعضاء الأسرة وهذا ما نراه واضحا في حالة "سامية" التي تعيش حالة من الإهمال واللامبالاة من طرف عائلتها التي لم تهتم بحاجياتها كفرد بحاجة للحنان والأمن الذين هما أهم وظائف الأسرة وحسب "مينيوشن" الذي وضع 3 أبنية تخص وظائف الأسرة نجد أن النسق الأسري مناسب لحالة "سامية" هو النسق الفرعي وراء الأسرة أو خارج الأسرة والذي يتكون من الأسرة الممتدة والأصدقاء وشبكة الدعم الاجتماعية كما نجد أن الهرمية التي وضعها "مينيوشن" وهي مصطلح يخص توزيع القوة في الأسرة والعضو الذي يحوز على مكانة في قمة الهرم هو الشخص الذي يحوز على القوة العلائقية داخل الأسرة وتقوم الأسرة بوظائفها بشكل جيد عندما تكون الهرمية واضحة بين الوالدين الذين يشكلان المستويات العليا ثم يليها المراهقون والأولاد وفي حالة "سامية" نجد غياب هذه الهرمية حيث لا يوجد من يتولى قمة الهرم لغياب الوالدين بوفاة وتخلي الأب عن العائلة وإهماله لوظيفته كأب مسؤول عن العائلة وتلبية حاجيات الأفراد هذه العائلة.

أما "بوين" "Bouen" فترى أن الأسرة الإنسانية هي أنساق طبيعية تسمى بالأنساق الانفعالية ترى "بوين" أن وضع الإخوة الوظيفي له أهمية حيث تشخص ردود الفعل الانفعالية فالطفل قد يؤدي وظائفه كابن أكبر من حيث تحمل المسؤولية وهذا ما افتقدته "سامية" في النسق العائلي حيث قالت "خويا عبد الهادي لاهي غير في روحه وسهرات نتاعه ما يخدم ما يصدم يضل غير يشرب ويزيد يدبزنا ويبغي نعطوه دراهم أنا وخويا محمد وأختي خيرة غير نتاع صوالحها مين تشوف عندي دراهم تولي مليحة معايا ومين ما يكوننش عندي قاع ما تديهاش فيا".

وترى بوين أن تحولات الوظيفة لأوضاع الإخوة هو كمؤشر على حدوث عملية الإسقاط داخل الأسرة وانخفاض مستوى التمايز أي عدم قدرتهم على حفاظ على توازن بين أنساقهم الذهنية والانفعالية كي يكونون غير قادرين على اختيار ما يناسبهم في خبرات الحياة.

علاقة الحالة مع الأب:

كانت "سامية" تربطها علاقة شبه منعدمة مع أبيها وذلك لتخليه عنهم بعد ولادتها حتى أنها لم تكن تعرف بوجوده فقالت: "أنا ما كنتش عارفة بلي بوي مازاله عايش حتى النهار اللي ماتت ما وجى يعزي وأنا ما نقولهش بوي غير معاك راني نقوله هكا، أنا نعيطله باسمه حبيب وما نحس بحتى حاجة مين نهدر عليه تقولي ماشي بوي".

أسلوب الأب مهمل غير مبالي ولا يتحمل المسؤولية حيث توصفه سامية بأنه ضعيف الشخصية بقولها: " هو أصلا كان يخاف من ما على حساب ما قالولي كانوا يدابزو وما تضربه وكان يهرب من الدار كان يخاف منها حتى النهار اللي راح ما ولى".

كما أن الوالد قام بتكوين عائلة جديدة وقام بإهمالهم تماما حيث كل الأوضاع المزرية التي تعيشها الحالة مع أخواتها لم يجعل الأب يغير أسلوبه رغم أنه كان مرتاح ماديا ويملك أرض زراعية وله مصنع دجاج، كل هذه اللامبالاة جعل هناك نوع من الجفاء والكره بين الأب وبنت حيث تربطهم علاقة سلبية حتى أنه لم يهتم بسلوكات ابنته المنحرفة كالهروب من المدرسة وإتباع مجموعة من أصدقاء السوء فتقول "عمره ما هدرلي وماكان ما دخله في حياتي كان يشوفني وما يديهاش فيا واش راني لابسة ولا واش راني نديرة".

كان أسلوب أب متساهل ولا يوجد عقاب في حالة قيام بسلوكات خاطئة وهذا ما عزز عند الحالة "سامية" هذه السلوكات وجعلها تتمنى أكثر في السلوكات الجانحة.

علاقة الحالة بالأم:

توفيت والدة سامية وهي ذات 6 سنوات لدى لا تتذكرها جيدا وكل المعلومات التي لديها عن الأم من خلال ما تخبرها به أختها أو خالتها فقالت: "ما نعقلش عليها كانوا غير يحكولي عليها".

كانت أم سامية تعمل في الدعارة وذلك لعدم وجود من يعيل العائلة بعد تخلي الوالد عنهم.

تعاني سامية من حرمان عاطفي بعد وفاة الأم ولم تجد الأم البديلة بعدها وعلى حسب "ميلاني كلاين – M. klein" التي أعطت أهمية كبيرة للعلاقة بين الطفل والأم في مرحلة الطفولة بحيث نلعب دورا أساسيا في بناء الشخصية العاطفية والاجتماعية والصحة العقلية للفرد كما أنها ترى أن النمو لا يمكن أن يحدث بطريقة سليمة إذ لم يتجاوز صورة الأم والأنا في أمان، كما يرى "سبيتز SPTIZ" أي أن اضطراب في العلاقة أم –طفل في الطفولة يؤدي إلى تسميم النفسي والعجز الانفعالي وهذا ما حرمت منه سامية فهي لم تقيم علاقة مع الأم لوفاتها وهي صغيرة، حيث تقول سامية "أنا ما نحس بوالو اتجاهها وما نعرفهاش نعرف بلي هي ما وكانت تخدم خدمة ماشي مليحة ربي يغفرلها وأنا ما بغيتش نكون كيفها" كما تذكر سامية أن الأم دخلت السجن بتهمة الدعارة.

علاقة الحالة بالإخوة:

تتسم علاقة سامية بأخواتها بالمضطربة والغير الجيدة ومليئة بالمشاكل فتقول " أنا نضل برا ومين ندخل الدار غير نتلاقو ندبزوا ما شي قاع متفاهمين مع بعضنا تقولي ماشي خوت وDeja لوكان نصيب قاع ما نشوفهمش".

كان أخ سامية عبد الهادي مدمن مخدرات وله علاقات غير شرعية مع البنات حيث تقول سامية: " يضل غير راقد ومين ينوض يقعد يسكر ويجيب البنات لدار ويسهر معاهم وهو راه في الحبس لخاطر حصلو فيه بلي تعدى جنسيا على ولد".

أما خيرة التي كانت أخت الكبرى فهي تعمل في الدعارة ولم تكن علاقتها جيدة مع سامية لإجبارها على العمل معها في الدعارة ورفض المستمر للحالة "كنا نوصلوا ندبزوا على خاطر باه نروح نسهر معاها وأنا ما نبغيش هادا العيشة وماكان حتى راجل اللي نخليه يتلمسني غير ما ماتت على هدا أسباب أنا ندير كيفها".

أما محمد فكانت علاقتها معه أحسن من البقية حيث كانت تعمل معه في السوق حيث تقول: " غير محمد ما خرج كيفنا هو عاقل ويروح للزاوية يقرا القرآن".

علاقة بين الوالدين والإخوة:

كانت هناك علاقة متوترة ومضطربة بين الوالدين كما أن الأم كانت لها السلطة في البيت وذلك لضعف شخصية الأب، كما قالت سامية " بويا خواف ويخاف من ما كانت تضربه"، أما العلاقة بين الوالدين والإخوة فكانت نفس العلاقة التي تربط سامية بأبيها تتسم بالإهمال واللامبالاة فالأب كان دو أسلوب متساهل وغبر مبالي في تعامل مع أولاده.

خلاصة الحالة سامية:

سامية مراهقة جانحة، تتسم بالاندفاعية وسريعة الانفعال وعصبية كمنا أنها حيوية ولا تخاف العواقب وليس لديها خوف من السلطة كما أنها متمردة.

إن سامية تتصف بسرعة الانسياق Labilité حيث يميز صاحب هذه الشخصية بأنه يتعدى إنذار القانوني بالعقاب بسبب ما لديه من سرعة الانسياق ومع هذا التخطي ينتج لديه إقرار حاسم للفكرة الإجرامية وهذا ما تتصف به سامية فهي اندفاعية ولا تفكر فيما تقوم به حتى أنها كانت تعمل مع صديقتها في ترويج المخدرات دون الخوف من العقوبة القانونية، لها سلوك مندفع وهذا ما يميز الشخصية الجانحة على حسب "كرافت crafft" الذي حدد سمات الشخصية الجانحة في عنصرين هما التبلد العاطفي واندفاع في السلوك.

كانت "سامية" مدمنة على مخدرات وكذا مهلوسات كـ "دومينو" و "scorpion" و "extasy" وشم كوكايين " Neant " وذلك بعد تعرفها على صديقها "قب" الذي كان بائع

للمخدرات كما أنها كانت منخرطة في جماعة أصدقاء يقومون بسلوكات منحرفة كالسرقة، لعب القمار، تعاطي المخدرات وشرب الكحول.

تعد الهوية الجانحة سيرورة تكونت تحت وطء نقائص سجلت على مستوى اضطراب الاتصال داخل النسق الأسري وكذا تملص الوالدين من أداء وظائفهما كالرعاية والأمن خاصة الأب الذي تخلى عن العائلة وجعلها عرضة للمخاطر كما أنه كان غياب السلطة في البيت وضبط السلوكات المنحرفة حيث لم تجد سامية من يمنحها أو يأنبها إذا قامت بأي سلوك منحرف إذا كانت هذه إجابتها على الأسئلة التي طرحناها عليها في المقياس الخاص بالنسق الأسري للفتاة الجانحة.

عاشت "سامية" حرمان عاطفي وذلك لموت أمها في سن مبكرة حيث يرى "بولبي" "Bowlby" أن السلوك الجانح له علاقة كبيرة بابتعاد وحرمان الطفل الجانح عن أمه لمدة طويلة في السنوات الأولى من حياته تلك التي تتشكل فيها شخصيته كما أن غياب الرقابة والسلطة الأبوية والاضطرابات التواصل التي تشوب النسق الأسري يؤدي بالفتا ة إلى عدم الأمان والاطمئنان مما يولد عندها سلوكات عدوانية داخلها ويجعلها أكثر عرضة للانحراف والجنوح يكون كالتنفيس عما بداخلها.

أثرت الاضطرابات والمشاكل بين الإخوة على مستقبل التكويني لشخصية "سامية" فظهرت العدوانية والسلوكات المنحرفة مبكرا حيث بدأت بعلاقة غير شرعية مع صديقها "قب" الذي أفقدها عذريتها ثم انتقلت إلى إدمان المخدرات وتعاطي المهلوسات بجميع أنواعها ثم انتقلت إلى السرقة ولعب القمار وذلك لانحرافها مع جماعة من المنحرفين، فغياب التام للرقابة من طرف الأب المهمل والغير المبالي بمسؤوليته اتجاه ابنته كأب له دور الحماية والنصح وتوفير وتلبية حاجياتها وكذا غياب تواصل مع الإخوة الذين منهم من يتعاطى المخدرات ومنهم من يعمل في الدعارة عزز في سامية السلوكات الجانحة بفعل اضطراب الاتصال بين أفراد العائلة بحيث تعتبر أسر، سامية أسرة المنحرفة على تصنيف "Le blanc" وتمثل هذه الأسرة 15 % ويتميز هذا النمط من الأسر يبرز السلوكات

المنحرفة وانخفاض المستوى الاقتصادي واضطراب العلاقة بين الوالدين والمراهقين، ويتميز سلوك الوالدين بالانحراف.

دخلت سامية مرتين للمركز بتهمة خطر معنوي حيث بعد خروجها في المرة الأولى بسبب تعدي صديقتها عليها جنسيا، لم تتعض وواصلت في سلوكاتها الجانحة إلا أن تم قبض عليها مرة ثانية بتهمة حيازة المخدرات وسكن لكن دخولها هذه المرة كان له فائدة حيث تغيرت سلوكاتها بعض الشيء حيث قالت: "هذا الخطرة مين دخلت سقمت روحي ووليت غاية لخاطر هذيك الطريق اللي كنت فيها ما تخرجنيش وزيد مين دخلت طولت شعري وليت شوية ندير كيما البنات قبل كنت نشبه للأولاد".

تحصلت سامية على عدة شهادات داخل المركز مع كرهها الشديد للدراسة والتعلم لكنها كانت مرغمة على التعلم وفق قوانين المركز تحصلت على شهادة في النسيج والحلويات والسلالة.

أما عن علاقاتها كانت جيدة مع كل الموجودين داخل المركز من البنات وحتى الموظفين تقول: "راني غاية وقاع نبغيهم ويبغوني" أما بالنسبة لمشروع الحياة فهي تقول أنها تريد أن تتغير وتنسى كل الذي مرت به كما أنه تم خطبتها من طرف شاب عن طريق المديرة المركز، وهي عازمة على أن تعيش حياة عادية خالية من الاضطرابات أو سلوكات الجانحة التي كانت تعيشها من قبل، تزوجت سامية بخطيبها وتم إقامة العرس بالمركز.

الخلاصة

الخلاصة:

تعتبر الأسرة عبارة عن منظمة دائمة نسبيا تتكون من عدة أفراد وتربط هؤلاء علاقات قوية متماسكة تعتمد على أواصر الدم والمصاهرة، كما تعتبر كمجتمع مبسط والذي يوفر للطفل الإطار الضروري لتطوره العاطفي من أجل بلوغ النضج كونها أول محطة يمر بها، كما أنها تهتم بتلبية حاجياته الأولية الفيزيولوجية والنفسية والاجتماعية حيث تعتبر أول مؤسسة اجتماعية، يختبر فيها الطفل علاقاته مع مختلف أفراد الأسرة حيث تساعده على تكوين شخصيته من خلال الاتصال الذي يعتبر خاصية تفاعلية ضمن النسق الأسري فهم يتفاعلون فيما بينهم بحيث يؤثرون ويتأثرون سواء بالسلب أو الإيجاب، وأي اضطراب يكون على مستوى هذه الخاصية يؤثر على أفراد المكونة لهذا النسق.

إن النسق الأسري هو مجموعة من الأفراد يكونون الأسرة وهم في حالة إنتاج للعلاقات فيما بينهم ويعتبر سلوك أحد أفراد الأسرة نتيجة تفاعل مع الأفراد الآخرين للعائلة أو المحيط الخارجي وبالتالي المفحوص المحدد ونقصد بها "الجانحة" هو جزء من كل واسع ولفهم المفحوص المحدد وتعيين مشاكله يجب تقييم خصائص الأسرة وتحديد النسق الذي تنتمي إليه حيث يوجد أنواع للأنساق منها المفتوحة والتي تتسم بالتبديل والتغيير حسب السياقات المتغيرة وهذه الأنساق تقبل التغيرات للمشاعر كالحب والغضب وهي منفتحة على العالم الخارجي ويتسم بكثرة العلاقات ،أما الأنساق المغلقة هي منعزلة عن المحيط والبيئة الموجودة فيها كما أنها تعمل على تطبيق القواعد على نحو جامد بصرف النظر إلى مدى مناسبتها كما أن النسق المغلق محكوم بالقوة والطاعة والحرمان والخضوع كما لا يقبل التغيير.

تحتاج المراهقة إلى الوالدين للارتكاز عليهما في هذه المرحلة الحرجة والمهمة في حياة الفرد وهي مرحلة تتسم بتغيرات تطرأ على الفرد على كل مستويات سواء الجانب العقلي أو الانفعالي أو الاجتماعي والجسمي إذا استطاع أن يعايشهما وعرف من يحيط به كيفية التعامل معها وذلك في إطار النسق الأسري الذي يعيش فيه، يمر هذه المرحلة الحاسمة بطريقة سلبية من خلال التواصل الإيجابي والسليم أما إذا كان العكس بحيث يكون

انعدام اتصال داخل هذا النسق يتم نفور أفراده من بعضهم ويؤدي إلى ظهور اضطرابات النفسية والسلوكية قد تضر بالفرد والمجتمع على حد سواء.

يعتبر الجنوح هو إحدى الظواهر النسقية الناتجة عن توظيف الباتولوجي للاتصال داخل النسق العائلي فكل سلوك وليس فقط الكلام هو عبارة عن اتصال فالجنوح هو اتصال غير لفظي وما هو إلا نتيجة استحالة التعبير وترجمة للاضطرابات التي تشوب الأسرة فالجنوح ما هو إلا إخفاق واضطرابات لعملية الاتصال داخل النسق الأسري.

إن الشخصية الجانحة هي نتيجة وليس معطية فلا يولد الشخص مجرما بل ينمو ويتطور وفق سيرورة من مراحل الأولى من العمر وتعبر كل سيرورة عن كل فرد يتكون، يكبر وينمو ويندمج في علاقات اجتماعية متعددة ويتفاعل معها بحيث يؤثر ويتأثر من خلال التبادلات.

من خلال ما تم ذكره انبثقت فكرة الدراسة وعلى هذا الأساس حاولنا التحقق من الفرضيات التي طرحت في هذا الصدد بالارتكاز على قصة الحياة كمنهج أين يمكن تحليل وإتباع مسار حياة الحالة من خلال العودة إلى مراحل سابقة من عمرها حيث عند سرد تاريخ حياتها يسمح لنا بمعرفة الأسباب والعوامل التي أدت بها إلى الجنوح وظهرت هذه الطريقة في العلوم الاجتماعية في القرن 20.

ارتكزت الدراسة على تحليل قصة حياة حالتين من المراهقات الجانحات التي تتراوح أعمارهم ما بين 16 و 18 سنة المتواجدات بالمركز المتخصص في إعادة التربية للبنات بقمبيطا بولاية وهران من أصل 3 سجلت أثناء التربص الذي دام شهرين بذات المركز وذلك لتشابه القصص فيما بينها.

حاولت الدراسة مناقشة فرضيتين جزئيتين من أجل الوصول إلى الفرضية الأساسية والتي تتمثل في نقد يؤثر الاختلال الوظيفي لعملية الاتصال داخل النسق الأسري على الفتاة ويؤدي بها إلى الجنوح.

من خلال تحليل قصة حياة " إيمان وسامية" تتحقق الفرضية ويظهر أن الإختلال الوظيفي لعملية الاتصال يؤدي إلى اضطراب العلاقات داخل النسق الأسري وبالتالي ظهور اضطرابات نفسية وسلوكية للأفراد المكونين لهذا النسق وهذا ما نجده في حالة "إيمان وسامية" حيث لم يكن هناك اتصال بطريقة سليمة بين أفراد العائلة لكلتا الحالتين، وبأن نمط الاتصال الذي وظيفته كرابط إيجابي بين الأفراد يؤدي في حالة اختلاله إلى إبعاد الأفراد منتمون لهذا النسق الأسري وخلق سوء تفاهم فيما بينهم، فكلما حاولوا الاتصال فيما بينهم يؤدي إلى ظهور مشاعر سلبية تصل إلى الصراع ونشوء اضطرابات وهذا ما نجده عند الحالتين ونجده بكثرة عند "سامية" التي كل ما تجتمع مع أفراد العائلة تجد المشاكل وظهور الشجارات فيما بينهم، أما في حالة إيمان نجد أن اضطرابات وظيفة الاتصال لدرجة أن كان هناك علاقة شبه منعدمة مع الوالد وذلك لنفورها منه وتمنع عن رؤيته.

تمثلت فرضية الجزئية الأولى في: قد يؤثر النسق الأسري المفتوح على فتاة ويؤدي بها إلى الجنوح.

بعد تحليل قصة حياة "سامية" تتحقق الفرضية ويظهر أن النسق المفتوح الكثير العلاقات والمتساهل الذي نجد فيه غياب للرقابة وذلك لتخلي الوالد عنهم أدى إلى ظهور اضطرابات علائقية ونفسية وسلوكية داخل النسق الأسري، كما أن التغيرات التي تطرأ على هذا النسق كونه نسق يقبل التغيرات يؤثر على تكوين شخصية الفرد الذي ينتمي إليه ويؤدي إلى ظهور اضطرابات سلوكية وهذا ما نجده في حالة "سامية".

ما فيما يخص الفرضية الجزئية الثانية والتي تتمثل في: قد يؤثر النسق الأسري المغلق على فتاة ويؤدي بها إلى الجنوح.

من خلال تحليل قصة حياة "إيمان" تحقق الفرضية ونجد أن سبب رئيسي في لجوء إيمان إلى الجنوح وظهور اضطرابات سلوكية هو النسق الأسري المغلق الذي تميزت به عائلتها حيث نجد في هذا النسق الرقابة الشديدة والانعزال عن المحيط والبيئة المحيطة وكذا تطبيق القواعد على نحو جامد بغض النظر عن ما مدى ملائمتها كما نجد فيه القوة والطاعة

والحرمان وهذا ما نجده عند والد "إيمان" المتسلط كما لا يقبل هذا النسق أي تغيير ممال جعل "إيمان" تتمرد عليه وتلجأ للجنوح كرفض منها للحياة التي تعيشها.

فالأخير نجد أن الجنوح هو عبارة عن ظاهرة من أهم أسبابها التوظيف الباتولوجي للاتصال داخل النسق الأسري حيث يعتبر الجنوح هو اتصال غير لفظي وما هو إلا نتيجة لاستحالة التواصل والتعبير وترجمة للاضطرابات العلائقية التي تشوب الأسرة.

حاولت الدراسة التقرب من مدى علائقية النسق الأسري ونمط الاتصال فيه على تكوين المراهقة الهوية الجانحة وما هي إلا مبادرة لفتح آفاق لبحوث أخرى مستقبلا.

توصيات واقتراحات:

- الاهتمام أكثر بفئة المراهقات الجانحات وذلك بوضع برامج تأهيلية تساعدهم على اندماج في المجتمع وكذا مساعدتهم على إتمام الدراسة داخل المركز خاصة للجانحات اللاتي لهن رغبة في الدراسة.
- قيام بعقد وتحضير جلسات في علاج العائلي أو ديناميكية الجماعة بين الآباء والمراهقات من طرف الأخصائيين الموجودين في المركز لإعادة تصحيح العلاقة بين أفراد النسق الأسري.
- تكوين أخصائيين نفسانيين في مجال العلاج النسقي الأسري.
- اقتراح دراسة معمقة ميدانية في مجال علاج النسقي مع الأسر الجانحات.
- التكفل بالجانب النفسي للمراهقات الجانحات الموجودات بالمركز المتخصص بإعادة التربية.

قائمة المراجع

أولا: قائمة المراجع باللغة العربية:

1. حامد عبد السلام زهران، 2005، الصحة النفسية والعلاج النفسي، ط 4، عالم الكتاب – قاهرة – مصر.
2. مريم سليم، 2007، التغيرات والبلوغ دليل المراهقين – ط1 – دار النهضة العربية – بيروت – لبنان.
3. حسين علي الغول – 2001 – علم النفس الجنائي، ط 3 – دار الفكر العربي، القاهرة – مصر.
4. عبد الرحمان محمد العيسوي – 2004 – الجريمة والشذود العقلي ط 1 منشورات الحلبي الحقوقية – بيروت – لبنان.
5. موفق هاشم صفر الحلبي – 2000 – الاضطرابات النفسية عند الأطفال والمراهقين، أسبابها، أعراضها، الوقاية منها، معالجتها، ط 2 مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان.
6. محمد جميل، د. يوسف منصور، د. فاروق سيد عبد السلام – 1980 – النمو من الطفولة إلى المراهقة – تهامة للنشر – جدة – مملكة العربية السعودية.
7. مصطفى فهمي، الصحة النفسية – 1988 – دراسات في سيكولوجية التكيف ط 5، مكتبة المنجي – القاهرة – مصر.
8. زينب محمد حقي، نادية حسن أبو سكينة – العلاقات الأسرية بين النظرية والتطبيق ط 1 – 2009 – خوارزم العلمية، جدة – السعودية.
9. عبد الرحمن العيسوي – 2009 – سيكولوجية الطفولة والمراهقة – دار أسامة – عمان – الأردن.
10. علي مانع – 1997 – عوامل جنوح الأحداث في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
11. صالح محمد علي أبو جادو – 2007 – علم النفس التطوري الطفولة المراهقة، ط 2، دار الميسرة – عمان، الأردن.

12. محمد سند العكامية – 2005 – اضطرابات الوسط الأسري وعلاقاتها بجنوح الأحداث، ط 1، دار الثقافة – بيروت، لبنان.
13. علاء الدين الكفافي – 2006 – الارشاد الأسري، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
14. سعيد حسين العزة – 2000 – الإرشاد الأسري، النظريات وأساليب علاجية مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
15. صالح حسن الداهري – 2008 – أساسيات الإرشاد الزواجي والأسري، ط 1 دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
16. صالح حسن أحمد الداهري – 2005 – مبادئ الصحة النفسية – ط 1 دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

رسائل ماجيستير

17. طباس نسيمة – 2006 – المحاولات الانتحارية لدى الإناث من خلال اختبار FAT مقاربة نسقية لأربع حالات عيادية بمصلحة الاستعجالات الطبية، رسالة ماجستير في علم النفس العيادي، جامعة وهران.
18. لزرق سجيدة 2012 – 2013 التنشئة الاجتماعية الوالدية وجنوح الأحداث رسالة ماجستير في علم النفس العيادي- قسم علم النفس وعلوم التربية وأرطوفونيا، جامعة وهران.

ثانيا: قائمة المراجع باللغة الأجنبية:

1. Born M – 2006 – psychologie de la délinquence – 2eme édition Boeck. Bruxelles.
2. Karine et Albernhe T – 2004 – les thérapies Familiale systémique - 2eme édition Masson. Paris.
3. Le Blanc M -2003- traité de criméologie empirique 3eme édition les presse de l'université de Monterial.

الملاحق

دليل المقابلة:

الحالة: اللقب والاسم ، تاريخ ومكان الازدياد، العنوان، المستوى الدراسي، نوع العمل في حالة ما إذا كانت تعمل، العادات.

الجنح المرتبطة وتاريخ دخول المركز، عدد المرات.

الأب: عمره، نوع عمله، علاقته وسلوكاته مع الحالة ومع باقي أفراد الأسرة.

الأم: عمرها، نوع عملها، إذا كانت تعمل، علاقتها وسلوكاتها مع الحالة ومع باقي أفراد الأسرة.

الأخوة: عددهم، أعمارهم، ورتبته بينهم، علاقتهم مع الحالة ومع باقي أفراد الأسرة.

الأسرة: تقاسم الأدوار في المنزل، دور الأب، دور الأم، دور الحالة.

النمط التواصلي سائد في المنزل، أسلوب تسلطي أو إهمال، أسلوب تربوي.

السكن: نوعه وحالته ومستوى المعيشي.

المدرسة: علاقتها بالمدرسين، بزملائها التلاميذ، مستوى الدراسي جيد أو ضعيف، طبيعة سلوكاتها بالمدرسة، الغياب أو التوقف عن الدراسة.

الاضطرابات السلوكية في مرحلة الطفولة منها: العناد، العنف، الكذب....

مشروع الحياة: النظرة الحالية للذات، النظرة المستقبلية.

الجمهورية الشعبية الديمقراطية الجزائرية

جامعة السانيا – وهران –

كلية العلوم الاجتماعية

قسم علم النفس و علوم التربية و أرطوفونيا

مقياس النسق الأسري للفتاة الجانحة

البيانات الاولية :

السن :

المستوى التعليمي :

المستوى المعيشي :

مهنة الأب :

مهنة الأم :

تعليمات المقياس :

يتكون هذا المقياس من عدة عبارات حول طبيعة النسق الأسري للفتاة الجانحة و قد أعطي لكل عبارة ثلاثة اختيارات .

المطلوب منك ان تقرأ كل عبارة و اختيارتها الثلاثة و تضع اشارة (X) داخل المربع المقابل للاختيار الذي تراه مناسب لك كما يمكنك كتابة اي ملاحظات ترغبين في ذكرها حول العبارة او احد اختيارتها .

حاول ان تكون جميع اجاباتك صريحة ، و اعلم انه لا يوجد خطأ او صواب في الاختيار و إنما المطلوب هو أن تعبر عما تفكر فيه وعن الواقع الذي تعيشه ، يرجى الإجابة على جميع عبارات المقياس دون ان تترك شيئا منها .

مع العلم ان المعلومات ستبقى سرية و تستخدم لأغراض البحث العلمي

01	**كنت أعيش مع :**

	الوالدين ☐ الاخوة ☐ الأقارب ☐ الأب ☐ الأم ☐ ملاحظات تودين ذكرها : .....
02	**يوجد نزاعات داخل الأسرة :** بين الوالدين ☐ لايوجد نزاع ☐ بين افراد العائلة ☐ ملاحظات تودين ذكرها : .....
03	**طريقة حل النزاع :** بالحوار و المناقشة ☐ لا يحل النزاع ☐ بالصراخ و المشاجرة ☐ ملاحظات تودين ذكرها : .....
04	**علاقتي مع ابي :** حسنة ☐ منقطعة ☐ متذبذبة ☐ ملاحظات تودين ذكرها : .....
05	**علاقتي مع أمي :** حسنة ☐ منقطعة ☐ متذبذبة ☐ ملاحظات تودين ذكرها : .....
06	**علاقة الوالدين مع بعضهما :** حسنة ☐ التخلي ☐ متوترة ☐ ملاحظات تودين ذكرها : .....
07	**علاقتي مع اخوتي :** حسنة ☐ منقطعة ☐ متذبذبة ☐ ملاحظات تودين ذكرها : .....

08	**في حالة قيامي بسلوك خاطئ يقوم أبي بمعاملتي بطريقة :** قاسية و الضرب ☐ يقدم لي النصيحة ☐ التفهم ☐ لا يهتم بي ☐ تناقض ☐ ملاحظات تودين ذكرها : .....
09	**يهتم والدي بحل مشكلاتي :** دائما ☐ غالبا ☐ احيانا ☐ نادرا ☐ ابدا ☐ ملاحظات تودين ذكرها : .....
10	**تتصف معاملة ابي لنا :** بعدل ☐ يفضلني عليهم ☐ يفضل احدهم علي ☐ ملاحظات تودين ذكرها : .....
11	**تتصف معاملة امي لنا:** بعدل ☐ تفضلني عليهم ☐ تفضل احدهم علي ☐ ملاحظات تودين ذكرها : .....
12	**الجو السائد في بيت عائلتي :** مطمئن ☐ عادي ☐ مقلق ☐ كئيب ☐ متصارع ☐ ملاحظات تودين ذكرها : .....
13	**يعطيني والدي فرصة للتعبير عن ارائي :** دائما ☐ غالبا ☐ احيانا ☐ نادرا ☐ ابدا ☐ ملاحظات تودين ذكرها : .....
14	**الاسلوب التسلطي هو نمط تواصل داخل اسرتي :** دائما ☐ غالبا ☐ احيانا ☐ نادرا ☐ ابدا ☐ ملاحظات تودين ذكرها : .....

15	**الاسلوب الاهمال هو نمط تواصل داخل اسرتي :** دائما ☐ غالبا ☐ احيانا ☐ نادرا ☐ ابدا ☐ ملاحظات تودين ذكرها : .....
16	**اتأثر بالنزاعات الموجودة داخل عائلتي بشدة :** مرتفعة ☐ مرتفعة ☐ معتدلة ☐ منخفضة ☐ منعدمة ☐ ملاحظات تودين ذكرها : .....
17	**يسمح لي الخروج بحرية من البيت :** دائما ☐ غالبا ☐ احيانا ☐ نادرا ☐ ابدا ☐ ملاحظات تودين ذكرها : .....
18	**احس بأني عبء على عائلتي :** دائما ☐ غالبا ☐ احيانا ☐ نادرا ☐ ابدا ☐ ملاحظات تودين ذكرها : .....
19	**يغطي مصاريف البيت :** الاب ☐ كلا الوالدين ☐ الوالدين و احد الاخوة ☐ الام ☐ احد الاخوة ☐ ملاحظات تودين ذكرها : .....
20	**عائلتي هي سبب مشكلاتي :** **دائما** ☐ غالبا ☐ احيانا ☐ نادرا ☐ ابدا ☐ ملاحظات تودين ذكرها : .....